الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

دلالة الجمال الفني للتقديم والتأخير

إلياذة مفدي زكريا – انموذجا –

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبتين:

- سعاد حمر العين
- جهيدة بوعيطة

إشراف الأستاذ:

عباس حشاني

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ/ عبد المالك مسعودان.....رئيسا
- الأستاذ/عباس حشاني..... .....مشرفا ومقررا
- الأستاذة/ وهيبة عجيري..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية

1435–1436 هـ

2014–2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم إذا أعطيتني نجاحا فهبني تواضعا، وإذا أعطيتني تواضعا لا تأخذ اعتزازي بكرامتي، اللهم إذا جردتني من المال اترك لي الأمل، وإذا جردتني من النجاح اترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل، وإذا جردتني من الصحة اترك لي نعمة الإيمان.

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا أخفقت، وذكرني أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

يا رب إذا نسيتك لا تنساني.

اشتهر العرب منذ عصر ما قبل الإسلام بالبلاغة والفصاحة ،وعنايتهم بسلامة الذوق وتأنيهم في اختيار الألفاظ ودقة المعاني وتوخي الإيجاز والابتعاد عن الحشو والإسهاب، إذ كان الإيجاز فضيلة مشهورة في لغة العرب، يفخرون بها وسليقة يعتزون بها وطبعا يحرصون عليه، على الرغم مما في اللغة العربية من السعة والكثرة فالبلاغة عندهم كانت تقوم بالدرجة الأولى على الفطرة والموهبة والذوق، فبالممارسة والتدرب سعوا لصقل هذه الموهبة وتنمية تلك الفطرة وتهذيب ذلك الذوق، وهذا ما يتفق مع طبيعة أي فن من الفنون، والبلاغة التي شملت ثلاث علوم رئيسية هي علم المعاني، علم البيان وعلم البديع والتي كانت في بداية الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم دون تحديد أو تمييز وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك. وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال ،كما أخذت مباحث كل فن بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى، وظل الأمر كذلك حتى جاء "الجرجاني" في القرن الخامس هجري ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، كما وضع "ابن المعتز "من قبله أساس علم البديع، وبهذا أصبحت علوم البلاغة مستقلة بذاتها لها قواعدها وأسسها المضبوطة.

ويعد التقديم والتأخير في البلاغة العربية أحد المباحث الأساسية لعلم المعاني والذي يقوم على كسر القاعدة النحوية تقديما وتأخيرا لغاية فنية ودلالة جمالية وأغراض بلاغية، وكانت العناية في التقديم والتأخير أبلغ من النمط العادي للجملة، ومن أجل إبراز القيمة البلاغية للتقديم والتأخير فقد كانت إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء التي تعد ملحمة الجزائر التاريخية ميدانا للتطبيق والتحليل، وأكثر إبرازا وتجسيدا لأغراضه وغايته البلاغية، ومن أجل معالجة الموضوع فقد تبادرت إلى أذهاننا عدة إشكاليات وتساؤلات منها:

أين تكمن جماليات التقديم والتأخير ودلالتها الفنية في البلاغة العربية؟، ومدى زيادة المعنى رونقا وجمالا للأسلوب بتوظيف هذه التقنية؟ وما هي الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير؟

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب ودوافع يمكن حصرها فيما يلي:

- رغبتنا الشخصية في المواضيع البلاغية وارتباطها أساسا بالتخصص.
- كون البلاغة العربية من أهم وأرقى العلوم التي تستحق الدراسة والتي حظيت بعناية العلماء منذ القدم.
- إبراز جماليات هذه التقنية البلاغية.

- شغفنا بكشف هذه التقنية في إلياذة الجزائر.

ومحاولة لمعالجة الموضوع فقد اعتمدنا على الخطة الآتية:

- افتتحناها بمقدمة تلتها ثلاثة فصول رئيسية، فصلان منها خُصّصا للجانب النظري من أجل الإلمام والإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، ثم خصصنا الفصل الثالث دراسة تطبيقية في إلياذة الجزائر.
- وقد استهللنا هذا الموضوع بمقدمة عامة يليها مباشرة الفصل الأول والذي يقع تحت عنوان "في البلاغة العربية" والذي تضمن مبحثين رئيسيين تنطوي تحتهما عدة مطالب فرعية، حيث تناولنا في المبحث الأول ماهية البلاغة العربية من حيث مفهومها، نشأتها وأهميتها، أما المبحث الثاني فقد حاولنا من خلاله الإحاطة بعلوم البلاغة، المعاني، البيان والبديع، أما الفصل الثاني والذي جاء بعنوان "التقديم والتأخير في البلاغة العربية" وقد انطوى تحته مبحثين رئيسيين يتفرعان إلى عدة مطالب ثانوية، تناولنا في المبحث الأول ماهية التقديم والتأخير، مفهومه، نشأته وطرائقه، أما المبحث الثاني فقد عالجنا فيه الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير إضافة إلى أضربه وأهميته في البلاغة العربية، أما الفصل الثالث فكان دراسة تطبيقية لإلياذة مفدي زكرياء حاولنا من خلالها ربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي ومن أجل محاولة إعطاء دراسة وافية للموضوع أو إعطاء البحث حقه من الدراسة، فقد اعتمدنا على ثلاث مناهج رئيسية رأيناها مناسبة لمعالجة الموضوع، وهي المنهج الوصفي، المنهج التاريخي والمنهج التحليلي. حيث تم اعتماد المنهج الأول في الجانب النظري لأنه ملائم لوصف وشرح مضمون الموضوع، أما المنهجين التاريخي والتحليلي فقد تم اعتمادهما في الدراسة التطبيقية فهو مناسب لعرض الحقائق التاريخية للثورة الجزائرية ومحاولة تحليلها من أجل إثراء الدراسة النظرية، وقد كان لموضوع التقديم والتأخير حظ من الدراسة البلاغية والنحوية والأسلوبية.

ولإثراء هذا البحث أكثر فقد اعتمدنا على عدة مصادر ومراجع رئيسية نذكر منها:

- في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع لعبد العزيز عتيق.
- البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، لبن عيسى باطاهر.
- البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف.
- المختصر في تاريخ البلاغة لعبد القادر حسين.

وقد واجهتنا عدة صعوبات وعراقيل منها:

- ضيق الوقت الذي كان العائق الأساسي في صعوبة انجاز هذا البحث.

- تشعب الموضوع وانفتاحه على أكثر من علم.
- خاصية هذه التقنية التقديم والتأخير من حيث ورودها، قد ترد عرضا وقد ترد عمدا.

وتتجلى أهمية وأهداف هذا البحث في اعتبار موضوع التقديم والتأخير في البلاغة العربية من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام بالغ من طرف علماء البلاغة وقبلهم علماء النحو والأسلوبية واللسانيات، كما يهدف إلى بيان طريقة استعمال هذه التقنية البلاغية فالكاتب أو الشاعر حين يحسن التلاعب برتب الجملة يكون بليغا وحين يسيء ذلك يكون أسلوبه ركيكا.

كما له أهداف يتوخاها المتكلم وتحقيقها يكون بشرط حسن صياغتها أو تركيبها في الكلام.

كما يهدف هذا البحث إلى إبراز النوع الأشهر من التقديم والتأخير والأقل استعمالا.

إبراز الأهداف والغايات البلاغية من استخدام هذه التقنية وما تضيفها من الجمال الفني للأسلوب.

والواجب يقتضي منا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الكريم "حشاني عباس" على توجيهاته وإرشاداته القيمة فجزاه الله عنا كل خير.

الحمد لله الذي وفقنا في هذا العمل الذي نتمنى أن نكون قد ساهمنا في إثراء هذا الموضوع البلاغي ولو بالشيء اليسير في مجال الدرس الأكاديمي.

الفصل الأول

تمهيد :

المبحث الأول:ماهية البلاغة العربية.

المطلب الأول: مفهوم البلاغة العربية- لغة واصطلاحا-

المطلب الثاني: نشأة البلاغة العربية وتطورها.

المطلب الثالث: أهمية البلاغة العربية.

المبحث الثاني:علوم البلاغة العربية.

المطلب الأول: علم المعاني.

المطلب الثاني: علم البيان.

المطلب الثالث: علم البديع.

خلاصة

تمهيد:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وكانت هذه البلاغة أمرا نابعا من سليقتهم، فقد عشقته نفوسهم وألفته ألسنتهم وآذانهم، حيث اشتهروا بحب البلاغة ولم يكن هذا الحب مقتصرا على فئة خاصة، وإنما كان طبع العرب كافة، إنه أقرب إلى أن يكون غريزة فيهم أو فطرة فطروا عليها، وهو أعمق وأعم من أن يكون صفة لطائفة معينة منهم، بل لقد شاع حتى بين عامتهم، وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل قوله تعالى: "الرَّحْمَانْ عَلَّمَ الْقُرْآنْ، خَلَقَ الإِنْسَانْ، عَلَّمَهُ الْبَيَانْ" الرحمان الآية(1-4)، وقوله تعالى أيضا: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا".البقرة الآية(204) فنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين كان متوجا لفصاحة العرب، مبرهنا على بلاغتهم متحديا بذلك هذه الفصاحة الكاملة وتلك البلاغة التامة، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد أثر تأثيرا بالغا في نشأة البلاغة، فقد عكف العلماء على دراسة القرآن والبحث عن سر إعجازه فقالوا: إن أحق العلوم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، والإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه به الله من حسن التأليف وبراعة التركيب وما نستحسنه به من الإيجاز البديع.[1]

ومن هذا كانت الانطلاقة الأولى لعلماء اللغة على اختلافهم في بداية التأليف بوضع بعض المؤلفات التي توضح اللغة ودقائقها الفنية والبلاغية والتي أسهمت إسهاما كبيرا في إثراء الدرس البلاغي وتطوره حيث اتسعت بفضلهم دائرة العلوم البلاغية التي كانت مجرد ملاحظات فطرية ذوقية غير معللة، وانتهت في الأخير إلى علم قائم بذاته واضح المعلم متعدد الأقسام جمع بين علم المعاني، علم البيان وعلم البديع، هذه العلوم التي تعد مصطلحات أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تضم مختلف الجوانب الفنية والجمالية للكلام والتي حظيت باهتمام كبير من طرف علماء البلاغة فخاضوا في أعماقها وبحثوا في كوامنها وأسرار بلاغتها، وكان الجاحظ صاحب الريادة في الدرس البلاغي خاصة في كتابه "البيان والتبيين" الذي خصه بعناية كبيرة بالبحث في شؤون البلاغة ثم بدأ العلماء بعد ذلك في التأليف البلاغي نذكر منهم: عبد القادر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" اللذين كانا دراسة وافية لعلم المعاني الذي أطلق عليها "نظرية النظم" وأبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" وهو عبارة عن شرح للبديع، وقد بلغت فنون البديع عنده خمسة وثلاثين فنا.

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ص: 9، 10.

وهكذا توالى التأليف البلاغي عند العلماء إلى أن وصلت البلاغة إلى ذروتها وأصبحت علما قائما بذاته يقوم على أسس وقواعد مضبوطة.[1]

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص: 23، 24.

المبحث الأول: ماهية البلاغة العربية

نالت البلاغة عناية العرب فحرصوا على ذكر تعريفاتها المختلفة وإبراز صفاتها وبيان فضلها، حيث سعى كثير منهم إلى توضيح مفهومها، وقد اختلف هذا المفهوم تبعا لاختلاف من تصدوا لتعريفها وتباين محصولهم الأدبي والثقافي بغية الوصول إلى حقيقتها وجوهرها.

المطلب الأول : مفهوم البلاغة العربية:

أ. **لغــة**: وردت البلاغة في المعاجم العربية بمفاهيم متعددة منها:

- جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: "البلاغة الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء بلوغا وبلاغا. وصل وانتهى، وتبلّغ بالشيء: وصل إلى مراده، والبلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. والبلاغة: الفصاحة، ورجل بليغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنهَ ما في قلبه. وقد بلغ بلاغة: صار بليغا".[1]

  فالبلاغة عند ابن منظور هي الوصول إلى الشيء المطلوب وبلوغ الغاية من ذلك.

- وجاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: "بلغ: رجل بلغ، بليغ، وقد بلغ بلاغة. وبلغ الشيء يبلغ بلوغا، وأبلغته إبلاغا. وبلّغته تبليغا في الرسالة ونحوها. وفي كذا بلاغ وتبليغ أي كفاية. وشيء بالغ أي جيد، والبلاغة: أن تبلغ من العمل جهدك".[2]

  فالبلاغة عند الخليل هي بلوغ الشيء بفصاحة وكفاية.

- وجاء في معجم القاموس المحيط للفيروز أبادي: "بلغ المكان بلوغا: وصل إليه أو شارف عليه. وبلغ الغلام: أدرك. وثناء أبلغ: مبالغ فيه. وشيء بالغ: جيد، وقد بلغ مبلغا. وجارية بالغ وبالغة: مدركة، وبلغ الرجل: كعني جهد".[3]

  فالبلاغة عند الفيروز أبادي هي الوصول إلى المراد والانتهاء إلى تحقيق الغاية.

- وجاء في معجم محيط المحيط لبطرس البستاني: "بلغ المكان يبلغه بلوغا: وصل إليه أو أشرف عليه، وبلغ الرجل يبلغ بلاغة كان بليغا، وبالغ في الأمر مبالغة وبلاغا: اجتهد فيه، البليغ: الفصيح يقال خطيب بليغ أي فصيح"[4]

  فالبلاغة عند بطرس البستاني تدور حول الوصول والانتهاء إلى الغاية.

---

[1] جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد8، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ-1922، ص: 419، 420.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003، ص: 161.

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ-2009، ص:796.

[4] بطرس البستاني، محيط المحيط، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص:382.

من خلال ما تقدم من هذه التعاريف اللغوية يمكن القول بأن المفهوم اللغوي للبلاغة ينصب في معنى واحد وهو الوصول والانتهاء وبلوغ الغاية المطلوبة.

ب. **اصطلاحا:** أورد البلاغيون عدة مفاهيم للبلاغة منها:

عرفها الجاحظ بقوله: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[1]. فالبلاغة عنده تكمن في مطابقة اللفظ لمعناه فمتى نطق المتكلم اللفظ وصل إلى ذهن السامع بليغا فصيحا، واضحا مفهوما. فهي تأتي وصفا للكلام واللفظ والمتكلم، فاللفظ البليغ يقرر المعنى الشريف تقريرا يبلغ القلب ويتمكن من نفس السامع وإن الواصف البليغ يجسم المعنى ويصور الغائب حاضرا.

وتعني البلاغة عنده كذلك الخطابة، فكثيرا ما يضع لفظي البلاغة والخطابة في جملة واحدة مترادفين، كما يضع كلمة البليغ مرادفة لكلمة الخطيب[2].

كما تعني البلاغة عنده أيضا فنون القول، فقد أتت عنده اسما شاملا لفنون القول المختلفة وذلك في قوله: "نحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والمسجوع ومن المزدوج ومالا يزدوج..." فجعل للبلاغة أصنافا من النثر والشعر والسجع، والمنثور والمزدوج والمطلق[3].

من خلال تعاريف الجاحظ للبلاغة يمكن القول أن البلاغة يمكن القول أن البلاغة عنده كانت في الكلام، ثم أصبحت تستعمل ملحوظا فيها معنى الخطابة، ثم توسع مدلولها حتى شمل فنون القول المختلفة من شعر ونثر وتطور حتى عم الكتابة الفنية.

عرف السكاكي البلاغة بقوله: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب فيها وإيراد أنواع الشبه والمجاز والكناية على وجهها.[4]

وعرفها أبو هلال العسكري بقوله: " البلاغة هو كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن". فالبلاغة هي قدرة المتكلم على التأثير في السامع وإيصال المعنى إليه في أجمل صورة من اللفظ.

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد1، تحقيق: علي أبو ملجم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1412هـ-1996، ص:82.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ص:64.

[3] نفسه ص:63.

[4] عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، دار الرازي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2007، ص:37.

وعرفها الخطيب القزويني حيث قال: "بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[1]. فالكلام البليغ هو الواضح المعنى الفصيح العبارة الملائم للوضع الذي يطلق فيه، والأشخاص الذين يخاطبون به في صورة فصيحة وواضحة.

عرف الرّماني البلاغة في رسالة النكت في إعجاز القرآن فقال: "البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[2].

فالبلاغة هي توصيل المعاني إلى القلوب والتأثير في نفوس المخاطبين وذلك باختيار الأساليب البلاغية المناسبة والألفاظ الفصيحة وأن يكون الكلام جميلا في ألفاظه ومعانيه، محكم التأليف حسن النظم.

عرفها الراغب الأصفهاني فقال: "البلاغة تقال على وجهين، أحدهما أن يكون بذاته بليغا، وذلك بأن يجمع ثلاث أوصاف: صوابا في موضوع لغته، طبقا للمعنى المقصود وصدقا في نفسه، والثاني: أن يكون بليغا باعتبار القائل و المقول له، هو أن يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له". مثل قوله تعالى: "وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا" النساء الآية(63)، فالبلاغة عند الراغب الأصفهاني تكون في الكلام والمتكلم، فكما يقال كلام فصيح ومتكلم فصيح، يقال كلام بليغ ومتكلم بليغ.[3]

الناظر والمستقصي في أقوال هؤلاء حول تعريف البلاغة يستطيع أن يستخلص أن البلاغة بمعناها الشامل هي ملكة يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم عن طريق حسن اختيار الألفاظ والمعاني التي تحمل من القوة والحسن والدقة ما يجعلها أكثر إقناعا للسامعين، وذلك أن بلاغة الكلام هي تأثير نفس في نفس وفكر في فكر، فمن عرف سر التعبير الفني البديع نال ريادة المكان الرفيع.

المطلب الثاني: نشأة البلاغة العربية وتطورها

إنّ الإلمام بنشأة البلاغة العربية يتطلب قبل كل شيء الرجوع إلى التراث الأدبي الجاهلي شعره ونثره، والدارس لهذا الأدب يلحظ خاصية تميز بها عرب الجاهلية، وهي امتلاكهم لخاصية القول وتفننهم في طرق التعبير، مما جعلهم يبلغون مكانة عالية في الفصاحة والبلاغة.

---

(1) عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، ص:27.

(2) بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008، ص:26.

(3) فضل حسين عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، دار النفائس، الطبعة الثالثة عشر، 1429هـ، 2009، ص: 58-59.

ففي أشعار الجاهليين، والتي كانت تمثل معظم أدبهم يرد الكثير من أساليب البيان المختلفة من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية وما إلى ذلك. وهذه الأساليب سواء ما يتصل منها باللفظ أو المعنى كانت ترد في الغالب إلى خواطرهم ورودا عفويا، فكان من أولئك الشعراء من يرسل القول إرسالا، فإذا شعره لا يفترق عن النثر إلا في النظم، ولكن كان فيهم أيضا من يروي في شعره ويبالغ في تنقيحه وتحسينه ليبلغ منه كل ما كان يريد من استمالة القلوب والسماع، فلم يكن شعراء الجاهلية يقبلون كل ما يرد على خواطرهم، بل مازالوا ينقحون ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكرة، ويعاودون النظر لالتماس المعنى المصيب واللفظ المتخير، يقودهم في ذلك بصر محكم يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض. فقد كان من شعرائهم "من يدع القصيدة تمكث عنده حولا وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه، اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره... وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا".

ولقد لعبت الأسواق التي كانت تقام للحكم على الشعراء دورا هاما في نشأة الذوق الفني، وبخاصة سوق عكاظ الذي كان الشعراء و الخطباء يلتقون فيه ليعرضوا أشعارهم وما جادت به قرائحهم وكل يريد أن يحوز قصب السبق لدى سامعيه، ومن الشعراء من كان يقوم في هذه الأسواق مقام القاضي الذي لا تدفع حكومته أمثال النابغة الذبياني. الذي كان الشعراء يحتكمون إليه، فمن نوه بشعره داعت شهرته في الآفاق، وكان النابغة يبدي بعض الملاحظات على معاني الشعراء وأساليبهم، ويقال أنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضل الخنساء على بنات جنسها وثار حسان عليه وقال له: "أنا والله أشعر منك ومنها، فقال له النابغة: حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:

لَنَا الجَفْنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدِة دَمَا

وُلِدْنَـــــا بَنِي العَنْقَاءَ وابْنِي مُحْرِقٍ فَأَكْرِمْ بِنَا خَالًا وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا

فقال له النابغة: إنك قلت الجفنات فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت يلمعن في الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف في الليل أكثر طروقا، وقلت يقطرن من نجده دما، فدللت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك[1].

ففي تعليقات النابغة وملاحظاته ما يدل على أن شعراء الجاهلية كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، وكانوا يسوقون أحيانا ملاحظات تعد أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية. ومن يتصفح أشعارهم يجدها

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص: 11، 12.

تزخر بالأساليب البيانية المختلفة وتتناثر فيها من حين إلى حين ألوان من المقابلات والجناسات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم كانوا يعنون غاية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضه البليغة.

وقد أخذت هذه الملاحظات تزداد وتنموا في عصر صدر الإسلام بفعل هذا الأخير الذي أدى إلى تحضر العرب وخروجهم من عزلتهم في الجزيرة إلى الأقطار المفتوحة، واستقرار الكثير منهم فيها واحتكاكهم عقليا بحضاراتها، وكل هذا أعان على رقي العقلية العربية وانفتاحها واتساع آفاقها.

ولقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين متوجا فصاحة العرب، ومبرهنا على بلاغتهم التي لا تبارى، فكان القرآن متحديا هذه الفصاحة الكاملة وتلك البلاغة التامة[1]، ولا شك أن القرآن الكريم قد أثر تأثيرا بالغا في نشأة البلاغة، فقد عكف العلماء على دراسته والبحث في سر إعجازه فقالوا: "إن أحق علم بالتعلم هو علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، والإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التراكيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع". وكان تأثيرا القرآن واضحا في اتخاذه مدارا للدراسات البلاغية، واتخاذ آياته البيّنات شواهد على أبواب البلاغة وموضوعاتها واعتبارها مثالا يحتدى به في جمال النظم ودقة التركيب.

والرغبة لدى علماء العربية في تفهم القرآن دفعهم إلى البحث في بلاغته، وقد أدى هذا الاتجاه إلى ظهور العديد من الكتب التي تبحث في معاني القرآن الكريم ومجازه ونظمه وإعجازه مثل كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، وكتاب "معاني القرآن" للفراء، وكتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، وكذلك كتاب "النكت في إعجاز القرآن" للرّماني، وغيرها من الكتب التي تتناول القرآن من زواياه المتعددة، وموضوعاته المختلفة.[2]

إذن لقد كان التأمل في أسلوب القرآن وتفهم أسراره البيانية دافعا لظهور الدراسات القرآنية، ومدعاة للبحوث البلاغية التي ألفت بغزارة منذ نهاية القرن الثاني.هـ، أمدتها بفيض زاخر من الملاحظات البيانية التي أثرت البحوث البلاغية على مدى القرون، فالوقوف على إعجاز القرآن وإدراك نظمه واجتلاء أسراره لا يقوم إلا على تفهم البلاغة ومعرفة الفصاحة.[3]

---

[1] عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،د.ط، 2001، ص:7.

[2] نفسه، ص: 8.

[3] نفسه، ص: 12.

هذا في عصر صدر الإسلام، أما في العصر الأموي فقد كانت للاهتمام بالبلاغة عوامل تتمثل في وجود المعاصرين لصدر الإسلام، تعدد الفتن والأحزاب والأحداث، حداثة الدولة واحتياجها إلى أساليب التأثير والإقناع وكذا الملاحظات الفنية.

إن المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته على امتداد عهودهم، لا تزال فيهم النزعة بما ورثوه من أساليب العرب، وما تعلموه من أفانين البيان القرآني، وجوامع الكلم النبوي.

ومن ثم حظيت البلاغة برافد من روافد سيرورتها على ألسنة المتمكنين من أساليبها .

وقد زادت الحاجة إليها (البلاغة) الأحداث الناجمة عن تعدد الأحزاب، التي وجدت في السيف واللسان مجالا لتحقيق الغاية، وللخطابة الدور الفعال في ذلك، للتأثير في العقول وتوجيه أصحابها لما يخدم الغرض المنشود، فكانت الحاجة جد ماسة إلى الأساليب المتنوعة في إحقاق الحق بالمنطق السديد، والإقناع بالحجج الدامغة، حتى لنجد "معاوية" يعبر عن هذا "لسليم مولى زياد" الذي فخر به معاوية، فقال معاوية: "أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا وقد أدركت أكثر منه بلساني".[1]

وفي إدراكه لمبتغاه بلسانه ما يوحى بقدرته البيانية، وهي دليل على استكماله لآلات البلاغة ووسائل الفصاحة. فكان بذلك أكثر منه بلاغة ومعرفة بأساليب الكلام.

ومن الفنون التي ازدهرت في عصر بني أمية فن الخطابة بجميع ألوانها من سياسة وحفلية ووعظية، والتي نهضت نهضة ملحوظة، وبلغت عناية الخطباء بها مبلغا عظيما، وقد اشتهر في كل لون من ألوان الخطابة مجموعة من الخطباء، ففي السياسة يشتهر "زياد والحجاج"، ففي زياد يقول الشعبي: "ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثر كان أجود كلاما"[2]، ومن خطباء المحافل "سحبان وائل" وقد خطب أمام معاوية بخطبة باهرة سميت من حسنها "الشوهاء"، ومثله "صحار العبدى" الذي راع معاوية بخطابته فسأله: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال الإيجاز، فقال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: "أن تجيب فلا تبطئ وأن تقول فلا تخطئ"[3]. أما خطباء الوعظ فقد بلغوا الغاية من روعة البيان وفي مقدمتهم الحسن البصري، وواصل بن عطاء،

---

[1] رابح العوبي، البلاغة مفاهيم ومظاهر، مطبعة المعارف، عنابة، الطبعة الأولى، 2003، ص: 23.

[2] شوقي ضيف، البلاغة وتطور التاريخ، ص: 14 .

[3] نفسه، ص: 14.

واهتمام هؤلاء الخطباء ومحاولتهم الارتقاء بأساليبهم البيانية وتنويعها، تدل على إدراكهم لبعض أسرار البلاغة التي تكسب القول جمالا وتأثيرا في النفوس.

ولقد أخذ الاهتمام بالبلاغة يزداد في العصر العباسي وذلك من خلال التراث البلاغي المأثور الذي لعب دورا في ترسيخ المبادئ البلاغية المأثورة عن السلف مند العصر الجاهلي وحتى العباسي. وهذا عامل فعال في المثابرة على الاهتمام بالبلاغة في شتى موضوعات الكلام، حتى يكون له الأثر الساحر والبرهان الدامغ، وذلك بإصابة المعنى في أحسن عبارة وأصح الدلالة.

وهذا الذي جعل الكتاب في الدواوين يتفننون في الصياغة، فبقدر الإجادة تكون الترقية، حتى يصبح أحدهم رئيسا للديوان، أو واليا أو وزيرا، مما جعلهم يعدون العدة لذلك، وقد أدى اهتمام الكتاب بالكتابة وتنافسهم فيها إلى الإبداع والابتكار في أساليبها البيانية وقد أثنى الجاحظ على طريقتهم في البلاغة بقوله: "أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا".[1]

فهم يجتنبون في كتاباتهم الألفاظ الخشنة المستغربة، ويدققون في اختيار ألفاظهم التي تؤدي المعاني الطريفة، وعنايتهم بالمعاني لم تكن تقل عن عنايتهم بالألفاظ، وكان هؤلاء الكتاب يسعون لإحسان الكتابة في أساليبها ومعانيها، وكان ذوقهم مترفا بعامل الحضارة والتطور الذين ميزا عصرهم.

ومع تطور العلوم في القرن الثالث الهجري ظهر العديد من العلماء البارزين الذين كان لهم فضل كبير في تطور علم البلاغة، لعل من أبرزهم الجاحظ الذي جمعت كتبه كثيرا من القضايا. والمصطلحات البلاغية منها: كتاب "البيان والتبيين" الذي تحدث فيه عن الفصاحة والبلاغة، ودافع فيه عن بلاغة العرب وبيانهم، وله رسالة لطيفة سماها "نظم القرآن" وذكر أنها أول رسالة أشارت إلى نظرية النظم، تلك النظرية التي بحثها بإتقان "عبد القادر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز".

وجاء بعد الجاحظ الشاعر عبد الله بن المعتز الذي استفاد من جهود السابقين، وأضاف مفاهيم كثيرة لهذا العلم في كتابه "البديع" فقد ذكر فيه سبعة عشر نوعا من المصطلحات البلاغية، وكان كتابه خطوة جادة خطتها البلاغة العربية نحو التطور والنضوج[2].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الأول، ص: 99.

[2] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص:12.

ومن الأسماء اللامعة في البلاغة أبو "هلال العسكري" الذي ألف كتاب "الصناعتين" والذي ضمنه كثيرا من المصطلحات والفنون البلاغية، إلى جانبه القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" وفيه مباحث بلاغية قيمة منثورة في ثناياه كالمجاز والاستعارة، والجناس والفصاحة، وغير ذلك من المباحث المتعلقة بعلم البلاغة.

وعرف علم البلاغة منعطفا قويا مع مجيء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، فقد وضع في كتابه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" الأسس العامة والقواعد الأساسية لعلوم البلاغة، فقد تكاملت فيهما المباحث البلاغية، واستقرت للبلاغة ملامحها الأخيرة، وبلغت أقصى ما قدر لها أن تبلغه من نضج على امتداد تاريخها كله.

وفي القرن السادس الهجري ظهر "جار الله محمود بن عمر الزمخشري" فألف تفسيره المشهور الذي سماه "الكشاف" وطبق فيه نظرية النظم التي جاء بها "عبد القاهر الجرجاني"، تطبيقا عمليا و فرق في هذا الكتاب بين علم المعاني وعلم البيان.

وبدأ علم البلاغة يتأثر بالمنطق اليوناني مع مجيء "أبو يعقوب السكاكي" في القرن السابع الهجري، وهو الذي وضع كتابه "مفتاح العلوم" وتحدث في القسم الثالث منه عن علم المعاني وعلم البيان، وأحسن في ترتيب مسائلهما المختلفة، ولكنه لم يجعل علم البديع علما خاصا، إلى أن جاء "بدر الدين بن مالك "الذي اختصر "مفتاح العلوم" في كتابه "المصباح في علم المعاني والبيان والبديع"، وهو أول البلاغيين الذين قسموا البلاغة العربية إلى علومها الثلاثة: البيان والمعاني والبديع.[1]

واتجه علماء البلاغة في القرن الثامن إلى وضع الشروح والحواشي والتعليقات على كتاب "المفتاح" وكان من أشهر تلك التلخيصات كتاب"تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني وفيه هذب الكثير من المصطلحات والمسائل البلاغية بأسلوب سهل، وأصبح فيما بعد قطب يدور حوله الكثير من الشروح والحواشي، والتي يبدو أنها أفقدت البلاغة رونقها وجمالها الذين كانا في عهد "عبد القاهر "و" الزمخشري،" وقام "القزويني "بوضع شرح لتلخيصه سماه "الإيضاح"، حيث ضمنه الكثير من آراء العلماء السابقين، ورتبه بطريقة تسهل على الدارس تعلم هذا العلم ومعرفة أصوله وأسراره.

واستمرت الشروح والحواشي على كتاب "المفتاح" و"تلخيص المفتاح" قرونا طويلة، قدم فيها البلاغيون دروس البلاغة في قوالب جافة، وأدخلوا فيها كثيرا من المباحث التي تتصل بعلوم أخرى كعلم الكلام، وأصول الفقه والمنطق،

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 13.

الأمر الذي أسهم في ذهاب رونقها وجمالها، وإصابتها بالجمود والتعقيد، في كثير من مصطلحاتها ومباحثها إلى أن وصلت إلى العصر الحديث.[1]

وأما في العصر الحديث فقد انتشرت بين الدارسين، وفي المدارس والجامعات بعض كتب البلاغة التي حاولت تيسير موضوعاتها، وتنويع أمثلتها منها كتاب "جواهر البلاغة" للسيد أحمد الهاشمي، وكتاب "علوم البلاغة" لأحمد مصطفى المراغي وكتاب "البلاغة الواضحة" لعلي الجارم ومصطفى أمين. وأما محاولات تجديد البلاغة والسعي إلى تطويرها فبدأت بجهود أمين الخولي في كتابه "مناهج تجديد في التفسير والبلاغة" وجهود شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ".

ومع تطور علم اللغة في العصر الحديث، ونشأة علم الأسلوب والدراسات الغربية، بدأ الاهتمام بمحاولات الجمع بين الدرس البلاغي والأسلوبية الحديثة، وكان من أبرز المحاولات في هذا الاتجاه كتاب "دفاع عن البلاغة" لأحمد حسن الزيات، الذي قارن فيه بين البلاغة القديمة والأسلوب عند الغربيين، ودافع فيه عن البلاغة العربية، وكتاب "الأسلوب" لـ"أحمد الشايب"، الذي بين فيه أهم مجالات البحث في الأسلوب، وحاول عرض البلاغة القديمة في أثواب عصرية، ثم استمرت الدراسات الأسلوبية في هذا الاتجاه، وهي تسعى جاهدة لتأسيس علم الأسلوب العربي، الذي يؤمل منه أن يكون وريثا شرعيا للبلاغة العربية القديمة.[2]

بعد هذا العرض لمراحل نشأة البلاغة يمكن القول بأن البلاغة العربية لم تنشأ مكتملة الأبواب والمباحث وإنما نشأت شأن كل علم في بدايته، مجرد أفكار وملاحظات ساذجة متناثرة على هامش العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي سبقتها إلى الوجود.

وقد مرت قبل أن تصل إلى شكلها النهائي بمراحل عدة منذ العصر الجاهلي وصولا إلى العصر العباسي الذي شهد ازدهار البحوث البلاغية واكتمالها إلى العصر الحديث الذي كانت فيه محاولات لإعادة الحياة والحركة للبلاغة العربية التي فقدتها حينما ارتبطت بعلوم المنطق والفلسفة.

---

[1] ينظر: بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، ص: 14.

[2] نفسه، ص:15.

المطلب الثالث :أهمية البلاغة العربية

البلاغة من أشرف علوم اللغة العربية، فهي العلم الذي يعنى بتجويد الكلام من أجل توصيله واضحا إلى الأذهان، وهي التي تمده بالجمال الذي يؤثر في العقول والقلوب وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا"[1]. فالبلاغة بمثابة السحر الحلال الذي يكون له من السلطان وقوة الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين.

وللبلاغة أهمية كبيرة نذكر منها:

- التأثير والإقناع: يقول أحمد حسن الزيات عن أهمية البلاغة: "إن البلاغة هي بمعناها الشامل الكامل، ملكة يؤتى بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة والكلام، فالتأثير في العقول عمل الموهبة المعلمة المفسرة، والتأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة، ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة وتحليل".
- الوقوف على أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فالبلاغة هي إحدى الأدوات المهمة في فهم كتاب الله تعالى.
- تلمس دقائق اللغة العربية، ومعرفة أسرارها، وإدراك أساليب القول، ومراتب فنون الكلام.
- البلاغة فرع من النقد الأدبي، ومعرفتها ضرورية للناقد، فهي أحد المعايير الأساسية التي تعينه على تحليل النصوص الأدبية، وبيان قيمتها الفنية والجمالية.
- اكتساب مهارات الكتابة الإبداعية، فالدارس للبلاغة، الخبير بقوانينها يستطيع أن يستفيد منها في نظم الشعر، وفي كتابة النصوص الإبداعية المختلفة، ويستطيع من خلالها أن يعرف ما يناسب المعاني من الألفاظ وما يناسب المقامات من تراكيب وتعبيرات.[2]
- تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أسرارها وخصائصها خاصة بعد اتصال العرب بأمم مختلفة، مما أدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول اللحن فيها، يضاف إلى ذلك أن كثيرا من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم اللغة العربية وبلاغتها ليفهموا كتاب الله.
- تمييز الكلام الجيد من الردئ من منثور كلام العرب ومنظومه والموازنة بينهم.[3]
- التدرب على صناعة الأدب والتأليف الجيد من المنثور والمنظوم.
- البلاغة بوصفها إحدى وسائل النقد الفنية التي تساهم في مدى انسجام الشكل مع المضمون في النص الأدبي.

---

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 30.

[2] ينظر: نفسه،ص: 30،31.

[3] عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، ص:20.

- للبلاغة دور كبير في لا ينكر في الإبداع والفكر النقدي، فلولاها ما وجد أدباء مبدعون ولا نقاد بارعون، "لأن البلاغة إحدى وسائل تكوين ذواتهم الأدبية وعن طريقها يتم تعليم المتأدب طرق الأداء الأفضل، لأن البلاغة تضع للأديب القوانين التي تساعده على التعبير الصحيح وتأليف الكلام الواضح الجميل".[1]
- للبلاغة دور كبير في نظم الكلام وتأليفه على نحو يخلع عليه نعوت الجمال.
- البلاغة تكشف للمتعلم عن العناصر الجمالية التي ترقى بالتعبير صعدا نحو الكمال الفني، كما تضع بين يديه الأدوات التي يستطيع التمرس بها والتدرب عليها أن يأتي بالكلام البليغ.[2]

المبحث الثاني: علوم البلاغة العربية

إنّ البلاغة أقساما أو علوما ثلاثة حسب تقسيمات علماء البلاغة، وأيضا لكل قسم منها فروع أخرى فأول ما يصادفنا هو علم المعاني، وثانيهما علم البيان وثالث الثلاثة علم البديع.

وهذه التقسيمات لم تكن متبعة لدى علماء البلاغة المتقدمين، وإنما كانت عبارة عن مسائل متداخلة فيما بينها، فلم يكن هناك فصل بين علومها إلى أن جاء "السكاكي" وقام بدراستها –علوم البلاغة– كل على حدة وفي صورته النهائية التي نعرفها اليوم. وأول علم سنتعرض له هو علم المعاني.

المطلب الأول: علم المعاني

1. **تعريفه:**

أ. **لغـــــة:** المعاني: معنى كل شيء، والمعنى والتفسير والتأويل واحد وعنيت بالقول كذا: أردت ومعنى كل كلام ومعناته ومقصده.[3]

ب. **اصطلاحا:** هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال، ليكون وفق الغرض الذي سيق إليه، فبه نحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فنعرف السبب الذي يدعوا إلى التقديم والتأخير والحذف والذكر، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، إلى غير ذلك من مباحث هذا العلم.

---

[1] بثينة أيوب، أحمد محمود المصري، قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005، ص: 16.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية: علم المعاني والبيان، البديع، ص:3.

[3] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 2000، ص: 631.

فمتى اتبع المتكلم تلك القواعد، لم يزغ عن أساليب العرب، ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التي يورد فيها.

وأصل علم المعاني هي نظرية النظم المعروفة التي وضعها "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"، وكان يقصد بكلمة المعاني: معاني النحو، قال يشرح المراد من علم المعاني: "إنه ائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة الموضع الذي يفرضه معناها النحوي".[1]

وقال في مواطن أخرى: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو"[2]. وهو بذلك يؤكد العلاقة القائمة بين علم المعاني وعلم النحو.

ولقد ذكر علماء البلاغة المتأخرون لهذا العلم تعريفات عدة منها تعريف القزويني الذي قال بأنه: "العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[3]. وغير بعيد عن هذا المعنى تعريف" السكاكي" لعلم المعاني: "إنه تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره".[4]

أي هو عبارة عن قواعد يستطيع المتكلم من خلالها أن يجعل كلامه مشتملا على الخصوصيات التي يقتضيها الحال.

2. نشأته وتطوره:

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة، المعاني والبيان والبديع وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز وكتب المتقدمين خير شاهد على ذلك، ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينهما.

وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال كما أخذت مسائل كل فن بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى، وظل الأمر كذلك حتى جاء عبد القاهر الجرجاني ووضع نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز".

---

(1) عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، د.ط، ص:59.

(2) نفسه، ص: 59.

(3) نفسه، ص:60.

(4) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص:21.

وبذلك يعد واضع أصول علم المعاني ومؤسسه في العربية، ولم يحدث بعده تغيير في هذا العلم لأنه استطاع أن يستنبط من ملاحظات البلاغيين قبله كل القواعد البلاغية فيه، وقد فتن البلاغيون بعمله فراحوا يرددون كلامه ويقفون عنده، وقد انحصر عملهم في جمع قواعد علوم البلاغة التي وضعها وفي ترتيب أبوابها واختصارها.و أشهر من اتجهوا للاختصار والتلخيص "الزمخشري" في كتابه "الكشاف" و"أساس البلاغة"، وقد اعتمد فيهما بشكل رئيس على فنون البيان والمعاني كما عرضها الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وانطلق يبين الجمال البلاغي لآي الذكر الحكيم معتمدا على قضية النظم التي تحدث عنها الجرجاني.

ويعد الزمخشري هو الذي أعد لاكتمال الفروع المختلفة لنظرية علم المعاني، وذلك من خلال تطبيقاته المختلفة لفروع علم المعاني كالفصل والوصل والتقديم والتأخير على القرآن الكريم بذوق أدبي مرهف وحس فني دقيق.[1]

3. موضوعاته:

موضوع علم المعاني هو الجملة العربية من حيث الخبر والإنشاء، فيدرس الخبر من زاوية التوكيد والأغراض الحقيقية والمجازية، إضافة إلى الإسناد ومتعلقاته، أما الإنشاء فموضوعه دراسة أنواع الطلب مثل، الاستفهام، الأمر النهي، التمني، النداء وغير ذلك من الأساليب الإنشائية غير الطلبية كالتعجب، ألفاظ العقود المدح والذم.

ويهتم علم المعاني بدراسة التراكيب التي تخرج عن معناها الأصلي وتفيد معاني أخرى حسب مقتضيات الأحوال، كما أنه يختص دون غيره من علوم البلاغة بدراسة المعنى وما يدل عليه، فهو يرشدنا إلى معرفة التراكيب اللغوية المناسبة لكل مقام، ومع أن موضوع علم المعاني هو الجملة إلا أنه لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة، لكنه يبحث أيضا في علاقة الجمل ببعضها البعض بالنظر إلى النص كله، إضافة إلى السياق الذي قيل فيه.

وعلى هذا الأساس فإن الكلام لا يخرج عن أحد الغرضين، فهو إما خبر أو إنشاء.[2]

1) **الأسلوب الخبري**: أحد الأساليب البلاغية التي عكف على دراستها علماء البلاغة تفصيلا وتحليلا، وهو قول يحتمل الصدق والكذب، ويتضمن عاطفة، ويهدف إلى إفادة المخاطب بمضمونه من صدق أو كذب، فإذا طابق الخبر الواقع كان صادقا، وإذا خالف الواقع كان الخبر كاذبا، والغرض الحقيقي للخبر هو إفادة المخاطب بالحكم نحو: قوله تعالى: "اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ"الطلاق، الآية(12)، وقول الشاعر أيضا:

---

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، ص: 19،20.

[2] ينظر: بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 41.

إِنَّ البَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنى لَتَرَى عَلَيْهِ مَخَايِلَ الفَقْرِ

وقد يلقى الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة نحو: لقد أدبت بنيك بالرفق، وعودتهم على حب الإخلاص.[1]

وينقسم الخبر إلى عدة أنواع وذلك باعتبار الخبر الذي يلقيه المتكلم للسامع، الذي يختلف من سامع لآخر، ويختلف ذلك بحسب اختلاف أقوال السامعين لأن السامع واحد من ثلاثة: إما أن يكون خالي الذهن من مضمون الجملة التي تلقى إليه، وإما أن يكون مترددا في قبول مضمون هذه الجملة، أو أن يكون منكرا لمضمون ما يلقى إليه مشككا في ذلك، ونظرا لهذه الأحوال فإنه يجب على المتكلم أن يراعي حالة السامع في كلامه، هذه الحالة التي تفرض عليه أشياء معينة يلقي على أساسها كلامه أو جملته الخبرية، ومن هذا فإن الخبر يكون:

أ. **خبر إبتدائي**: وهو الخبر الذي يلقى لخالي الذهن تماما، وهو إخبار المتكلم المخاطب بنبأ لم يكن يعلمه من قبل، فلو قلنا لطالب جاء يستفسر عن نتيجته: "أنت ناجح" فهذه جملة خبرية، وعلى الفور يتلقف الطالب هذه الجملة دون أن يتردد في تصديقها، ولكن هناك معيار آخر وهو هل طابقت هذه الجملة الواقع أو لم تطابقه، فإن كان اسم هذا الطالب مدرجا بين كشوف الناجحين كان هذا الخبر صادقا، وإن كان العكس فإن هذا الخبر كاذبا، وهنا نلاحظ أن هذه الجملة خالية من جميع المؤكدات.

ب. **خبر طلبي**: وهو الخبر الذي يلقى للمتردد في قبول مضمون الكلام، وهذا يفرض على المتكلم أن يراعي حالة المستمع أو المتلقي لهذا الخبر ويؤكده بمؤكد واحد فقط مثل: "إنك ناجح"، فقد أدخلنا "إن التوكيدية على الجملة لكي تزيل التردد من نفس السامع ويتأكد لديه مضمون صحة الكلام.

ج. **خبر إنكاري**: وهو الذي يلقي لمستمع منكر لمضمون الجملة التي تلقى إليه، وهنا يجب على المتكلم مراعاة حال السامع، فيخرج كلامه مؤكدا بأكثر من مؤكد وذلك حسب درجة إنكار المستمع، لكي يزيل ما بنفسه من إنكار، ومن ذلك قولنا لمنكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم: والله إن محمدا لرسول الله، فقد أكدنا هذه الجملة بالقسم، إن التوكيدية واللام الواقعة في خبر إن.

ومن هنا نعلم أنه على المتكلم أن يراعي حال المتلقي في إلقاء الخبر بالإضافة إلى الواقع، حتى يكون الأسلوب الخبري مطابقا لحال المتلقي من جهة وللواقع من جهة أخرى.[2]

---

[1] حمدي الشيخ، الوافي في تسيير البلاغة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 2003، ص: 86.

[2] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، ص: 68، 69، 70.

إن أهم غرض من الأغراض الخبرية التي يقصدها المتكلم إنما هي إفادة المخاطب مثل قولك: العربية لغة الإيجاز، المسافة بيننا وبين الشمس أضعاف ما بيننا وبين القمر، كان أبو العلاء وابن جني معجبين بالمتنبي...إلخ، فهذه الأخبار جميعا تهدف إلى إفادة المخاطب، ويسمى هذا فائدة الخبر.

وقد لا يكون الغرض من إلقاء الخبر فائدة المخاطب، لأن المخاطب عالم به، وإنما الغرض أن أشعر المخاطب بأنني عالم بهذا الخبر، لست أجهله، كما لو عرفت أن فلانا كان مسافرا وقدم من سفره، فأقول له: أنت قدمت من سفرك أمس، وقد أقول للطالب: أنهيت الامتحان قبل يومين، فالمسافر والطالب لا يجهلان هذا الخبر، لكنني أردت أن أخبرهما بأني على علم بخبريهما وإن كتماهما عني، وسمي هذا لازم الفائدة. فهذان غرضان رئيسيان للخبر عند إلقائه إلى المخاطب، فائدة الخبر إذا كان يخاطب جاهلا يود إخباره بشيء لم يعرفه، ولازم الفائدة إذا كان المتكلم يريد أن يخبر المخاطب بأنه عارف بهذا الخبر، ليس خافيا عليه.

لكن هناك أغراض يمكن أن تستنتجها من خلال سياق الكلام، وأهم هذه الأغراض:

- **التحسر والتأسف**: وهو إظهار الحزن والأسى على ما فات، كقولك: ضاعت فلسطين، ومنه قول أحمد شوقي:

يَا أُخْتُ أَنْدَلُسَ عَلَيْكِ سَلَامُ هَوَتْ الخِلَافَةُ عَنْكِ وَالإِسْلَامُ

وهكذا كل كلام يقصد به المتكلم إظهار أسفه وأساه وتحسره ولوعته.

- **إظهار الضعف**: ومنه قوله تعالى على لسان زكريا–عليه السلام–: "رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي" مريم الآية(04)، وقوله تعالى أيضا: "قالوا لا طاقة اليوم لنا بجالوت وجنوده" البقرة الآية(249). ومن ذلك قول أبي المنهال عوف بن محلم الخزاعي:

إِنَّ الثَمَانِينَ وَبَلَغْتَـــــهُـــا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تُرْجُمَانِ.

وهكذا كل كلام يلوح صاحبه بالضعف، وتشم منه رائحة الخور.[1]

- **التوبيخ**: وهو التأنيب والعتاب ومنه قول الخطيب لجمهوره: العدو يمرح في أرضنا ونحن بين عازف وخائف.
- **الاسترحام والاستعطاف**: هو تذلل المتكلم واعترافه بذنبه، أملا في عطف المخاطب وعفوه، مثل قوله تعالى: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" القصص الآية(16)، فموسى عليه السلام يستعطف ربه لكي يغفر له ذنبه ويعفو عنه.

[1] ينظر، فضل حسين عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص: 108، 109، 110، 111.

- **إظهار الفرح**: كما يقول من نجح في امتحانه: نجحت بتفوق. وكما نقول: هذه اليقظة الإسلامية نرجو أن تؤتي ثمارها.
- **الشماتة**: وهي الحط من قدر وشأن المخاطب، وذلك كما يقول المستضعفون في الأرض: هاهم الظالمون يلقون مصارعهم، وهاهم الخونة يتساقطون واحدا إثر واحد.
- **التذكير ما بين المراتب**: وذلك كقوله تعالى: "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ، وَالْمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ" النساء الآية(95).

فالله سبحانه وتعالى يبين لنا مرتبة القاعدين من المؤمنين، والمجاهدين في سبيل الله وأنهم ليسوا سواء عنده.

- **الوعظ**: من أساليب النصح والإرشاد، ومنه قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" آل عمران الآية (185)، فالله سبحانه وتعالى ينصح عباده بالتقوى ويعظهم ويذكرهم بالموت.

ومنه قول أبو العتاهية:

إِنَّ الشَبَابَ وَالفَرَاغَ وَالجِدَّه مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيَّ مَفْسَدَهْ

إضافة إلى أن هناك أغراض كثيرة يمكن أن ندركها من سياق المتكلم والتي يمكن للمتكلم أن يقصدها، مثل: العتاب، التعريض، السخرية، الإلهاب... ، وهذا كله يعتمد على بلاغة المتكلم وذكاء وفطنة المخاطب.

هذا بالنسبة للفرع الأول من الكلام وهو –الأسلوب الخبري – أما الفرع الثاني من الكلام فيتمثل في الأسلوب الإنشائي الذي ينقسم بدوره إلى قسمين: الإنشاء الطلبي و الإنشاء غير الطلبي.[1]

2) **الأسلوب الإنشائي**: وهو الشق الثاني من أساليب الكلام الذي يلقيه المتكلم للمخاطب، هو ما لا يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب فيه، لأن المتكلم لا يخبر عن شيء بل يطلب إيجاد معدوم فمثلا: قولك لزميلك: أنصت إلى الشرح، فإنك تأمره بشيء وهو الإنصات الذي لم يكن موجودا قبل إنشائك هذه الجملة، وبالتالي لا يمكننا أن نحكم عليك بالصدق أو الكذب، وكذلك أيضا فإن الإنشاء لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا نطق المتكلم بالجملة، فتحدد ماهيتها، كما يتحدد المطلوب منها، وهو قسمان[2]

---

[1] ينظر: فضل حسين عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص: 111، 112.

[2] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، ص: 75.

أ. الإنشاء الطلبي

هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، و له عدة أنواع منها: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.

- **الأمر** : هو طلب حصول الفعل من المخاطب ، و إذا كان الأمر حقيقيا فإنه يكون على سبيل الاستعلاء و الإلزام، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإن الأمر يخرج عن معناه الحقيقي و يكون أمرا بلاغيا .

ـ و قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الحقيقي إلى معاني أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال، و من هذه المعاني:

- **الدعاء**: و هو طلب الأدنى من الأعلى، و الضعيف من القوي، و المخلوق من الخالق مثل قوله تعالى "رَبَّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ" نوح الآية (28)، و قول المتنبي مخاطبا سيف الدولة:

أَخَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكُ وَلَا تُعْطِيَنَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

- **الالتماس**: و يكون بين نظيرين متساويين منزلة و قدرا، فهو طلب النَد من النَد و الصديق من الصديق ، ومثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

يَا خَـــلِيلِيَ قرَبَا لِي رَكَـــابِي وَاسْتُرَا ذَاكُـمَا غَدًا عَنْ صِحَابِي

وَاقْرَآ مِنِّي السَّلاَمَ عَلَى الرَّسْ مِ الذِّي مِنْ مِنىَ يَجَنِّبُ الحِصَابِ

- **النصح و الإرشاد**: و مثال ذلك قول خالد بن صفوان لابنه: " دع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية".
- **التهديد**: و مثال ذلك قوله تعالى: " فَاتَّقُوا النَّارَ التِّي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الحِجَارَةُ أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينْ" البقرة-الآية (24)
- **التمني** : و هو طلب الأمر البعيد أو المستحيل الوقوع، و مثال ذلك قول امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَ مَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

- **التعجيز**: و هو الطلب إلى المخاطب أن يفعل أمرا يعجز عنه، مثل قوله تعالى: "فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانْ" الرحمان الآية (33).

ـ فهذه بعض المعاني المجازية التي يخرج إليها أسلوب الأمر.[1]

ب. **النهي**: هو طلب الكف عن الشيء، و له صيغة واحدة هي المضارع المقرون ب " لا الناهية" مثال ذلك قوله تعالى " لَا تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى" النساء الآية (43). و هو نوعان: نهي حقيقي و هو ما كان من الأعلى إلى الأدنى على سبيل الاستعلاء الاستلزام، مثل قوله تعالى: " و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا "الحجرات

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار الميسرة، عمان، الطبعة الأولى،1427هـ، 2007، ص: 63، 66، 67.

الآية(12) و نهي بلاغي و هو الذي يفتقد إلى شرطي الإعلاء و الإلزام، فيخرج عن معناه الحقيقي إلى معاني أخرى مجازية تفهم من سياق الكلام، و لكثرتها نكتفي بذكر الأهم منها:

- **الدعاء**: مثل قوله تعالى "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا" آل عمران الآية (8).
- **الالتماس** : مثال ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

فَلَا تَقْتُلِينِي إِنْ رَأَيْتِ صَبَابَتِي إِلَيْكِ فَإِنِّي لَا يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي

- **النصح و الإرشاد**: كقوله تعالى" لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ" المائدة الآية (101).
- و قول الشاعر:

وَلَا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدَّنَايَـــا فَإِنَّ خَلَائِقَ السُّفَهَاءِ تَعْدِي

- **التمني**: عندما يكون موجها إلى ما لا يعقل، مثل قول الخنساء:

أَعَيْنَي جُودَا وَ لَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَّانِ لِصَخْرِ النَّدَى

- **التهديد**: كقوله تعالى " وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المشْرِكِينْ"الأنعام الآية(14)
- **التحقير**: و هو الحط من منزلة المخاطب، و مثال ذلك قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر:

دَعْ المِكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[1]

ج. **الاستفهام**: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، و أدواته هي: الهمزة – هَلْ – مَنْ- مَا – مَتَى – أَيَّانَ – أَيْنَ – أَنَّى – كَيْفَ – كَمْ – أَيُّ، و لكل من هذه الأدوات أحكام ووجوه استعمال حقيقية، و قد تخرج عن معناها الحقيقي إلى معاني مجازية منها:[2]

- **الأمر** : مثل قوله تعالى: " هَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونْ" المائدة الآية(91)أي انتهوا.
- **النهي**: مثل قوله تعالى: " أَتَخْشَوْنَهُمْ وَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ"الأحزاب الآية(77) أي لا تخشونهم.
- **النفي**: كقول المتنبي: وَ مَنْ لمَ يَعْشَقْ الدُّنْيَا قَدِيمًا؟ وَ لَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ

أي لا أحد لم يعشق الدنيا قديما .

و قوله تعالى " هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانْ "الرحمان الآية(60) أي ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان.

- **التشويق**: كقوله تعالى على لسان إبليس: "يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَى" طه، الآية (120)
- **التعجب** :مثل قوله تعالى "مَا لِي لَا أَرَى الهُدْهُدَ"،النمل الآية (20) و قول الرصافي:

---

[1] يوسف أبو العدوس مدخل إلى البلاغة العربية ،علم المعاني ،علم البيان ،علم البديع ،ص: 70.

[2] نفسه، ص: 73.

فَمَا بَالُكُمْ لَا تُحْسِنُونَ وَوَاجِبٌ عَلَى الابْنِ لِلْأُمِّ الكَرِيمَةِ إِحْسَانُ؟

- **التمني** :كقوله تعالى " فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ؟"،الأعراف الآية(53) و قول الشاعر:

أَسِرْبَ القِطَا هَلْ مَنْ يُعِيدُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أَطِيرُ

فالشاعر يتمنى أن يكون له جناحان كالطير ، ليصل إلى محبوبته.

- **التهكم**: و هو الاستهزاء و السخرية، كقول المتنبي في الدمستق:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمَسْتَقُ مُقْدِمٌ قَفَاهُ عَلَى الأَقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ؟[1]

4_ **التمني** : هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، لاستحالة الحصول عليه أو بعد مناله، و مثال ذلك قول الشاعر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأَخْبِرْهُ بِمَا فَعَلَ المشِيبُ

و قوله تعالى: " يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَّ قَارُون"القصص الآية (79).

_ و للتمني أداة واحدة أصلية هي "ليت" و ثلاث أدوات فرعية هي: هل – لو – لعل، و مثال على ذلك:

ليت: و من ذلك قول العجاج : يا ليت أيام الصبا رواجعا.

هل: مثل قوله تعالى: " فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا "الأعراف الآية (53) أي ليت.

لو : مثل قول جرير: وَلِيَّ الشَّبَابُ حَمِيدَةٌ أَيَّامُهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجِعُ

لعل : مثل قوله تعالى " وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابْ" غافر،الآية (36)

_ و قد يخرج التمني عن معناه الأصلي إلى معاني أخرى مجازية، تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال و هي:[2]

_ **الاستعباد** : و فيه يكون التمني ممكن الوقوع، لكن غير مطموع في حصوله، و مثاله قول الشاعر:

يَا لَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ المعْرُوفَ يَمنَعُهُ حَتَّى يَذُوقَ رِجالُ غُبِّ مَا صَنَعُوا

_ **الرجاء** : و فيه يكون التمني مترقب الوقوع، مطموعا في حصوله، كقوله تعالى "لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا" الطلاق الآية (1).

_ إذا كان الأمر المحبوب ما يرجى حصوله كان طلبه ترجيا، و يعبر فيه ب: "لعل" أو "عسى"، و قد تستعمل فيه "ليت" لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة بعد نيله.[3]

---

[1] يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني، علم البيان ، علم البديع، ص:77.

[2] نفسه، ص:81.

[3] نفسه، ص: 82.

5_ النداء : هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء و قد يحذف حرف النداء إذا فهم من الكلام، و أدوات النداء هي: الهمزة – أَيْ – يَا – وَآ – آيْ – أَيَا – هَيَا – وَا.

_تقسم حروف النداء حسب اختصاصها إلى قسمين:

*قسم ينادى به للقريب: و هو "الهمزة" و "أي".

*قسم ينادى به للبعيد: و هو بقية حروف النداء.

_ و قد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معاني مجازية تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال، و أهمها:

_ **الإغراء**: هو الحث على التزام الشيء و الزيادة فيه ، مثل قول المتنبي:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الخِصَامُ وَ أَنْتَ الخَصْمُ وَ الحَكَمُ

_ **التحسر**: كقوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة: " يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"النبأ الآية(40).

_ **التعجب**: كقول طرفة:

يَالَـكِ مِنْ قُبْـــرَةٍ بِمَعْمَـرِ خَلَالَكِ الجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفَرِي

_ **الزجر**: كقول الشاعر:

يَا قَلْبُ وَيحَكَ مَا سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ لِمَّا ارْتَمَيْتَ وَ لاَ اتَّقَيْتَ مَلَامَا

_ **الإستغاثة**: كقول الشاعر :

يَا لَقَوْمِي وَ يَا لَأَمْثَالِ قَوْمِي لِأُنَاسٍ عَتَوْهُمْ فِي ازْدِيَادِ[1]

ب_ الإنشاء غير الطلبي :

_ هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، و يكون بصيغ المدح، الذم، العقود، القسم، التعجب، الرجاء، و يكون أيضا ب:" ربَ، لعل، و كم الخبرية."

_ **المدح و الذم**: و يكونان ب " نعم" و "بئس" نحو قول الجاحظ " أما بعد فنعم البديل من الزلة و الاعتذار، و بئس العوض من التوبة و الإضرار"، كما يكونان أيضا ب "حبذا" و "لا حبذا" كقول الشاعر:

أَلَا حَبَّذَا عَاذِرِي فِي الهَوَى وَ لَا حَبَّذَا العَادِلُ الجَاهِلُ

_ **العقود**: تكون بالماضي كثيرا نحو: بعت، اشتريت، وهبت، و بغيره قليلا نحو قولك: أنا بائع

[1] يوسف أبو العدوس ،مدخل إلى البلاغة العربية ،علم المعاني ،علم البيان ،علم البديع ،ص: 84، 85.

ـ **القسم**: و يكون "بالواو"، "تا"، "الباء" نحو قوله تعالى: "و التين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الأمين" التين-الآية (1-3) ، و قوله تعالى أيضا " قَالُوا تَا اللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا "يوسف الآية (91)، و قولك: أقسم بالله إني بريء.

ـ **التعجب**: و يكون قياسا بصيغتين هما "أفعل به" ما أفعله" كقوله تعالى: " أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا"مريم الآية (38) و قول الصمة بن عبد الله:

بِنَفْسِي تِلْكَ الأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَى وَ مَا أَحْسَنَ المِصْطَافَ وَ المرْتَعَا

و يرد سماعا بغير هذين الصيغتين نحو قوله تعالى: "كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ" البقرة، الآية (28)

ـ **الرجاء** : و يكون ب: "عسى ، حرى، اخلولق" نحو قوله تعالى "عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ" المائدة الآية(52)و نحو قولك: حرت الزوابع أن تهدأ و اخلولق الكرب أن ينكشف[1]

و الملاحظ أن الإنشاء غير الطلبي لم يبحث فيه علماء البلاغة كثيرا لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء.

فهذه هي مباحث علم المعاني الرئيسية التي عكف على دراستها علماء النحو و البلاغة على حد سواء.

4. أهميته:

الغرض منه جليل و هو يكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم و معرفة أسرار الإعجاز البياني، فعلم المعاني يساعدنا على تذوق الآيات، و فهم معانيها و يدلنا على دقة التركيب و حسن التأليف، و براعة النظم ، قال الشاطبيّ: " إن علم المعاني و البيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو الجميع"[2]. و هو إحدى الوسائل التي يحتاجها مفسر القرآن لمعرفة المراد من الآيات، قال الزمخشري:" لا يخوض على شيء من تلك الحقائق (حقائق القرآن) إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، هما علم المعاني و البيان ، و تمهل في ارتيادهما آونة و تعب في التنقيب عنهما أزمنة ، و بعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، و حرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أن يكون قد أخذ من سائر العلوم بحظ".[3]

---

[1] ينظر: عبد اللطيف شرفي، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2004، ص :28، 29.

[2] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص:41.

[3] نفسه ، ص:41 .

و علم المعاني يكشف عن القواعد و الأصول التي تساعدنا في توخي المعاني الجليلة و الأساليب المناسبة لغرضها في الكلام ، و أن نحسن التعبير عن الحالات المختلفة بالتراكيب و التعبيرات المناسبة، و أن نعرف بواسطة هذا العلم الدقة و الوضوح في استخدام اللغة من أجل إقناع الآخرين و التأثير في نفوسهم.[1]

المطلب الثاني: علم البيان

1. تعريفه:

أ. **لغة** : جاء في لسان العرب لابن منظور: البيان الفصاحة واللسن، وكلام بين فصيح، البيان الإفصاح مع ذكاء، والبين من الرجال: السمح اللسان، الفصيح، الظريف، العالي الكلام، القليل الربح، فلان أبين من فلان: أي أوضح منه لسانا وأوضح كلاما، ورجل بين فصيح، فالبيان عند ابن منظور يدور حول معنى الفصاحة.

بان الشيء بيانا: اتضح، تبين الشيء: ظهر، فالتبيين: الايضاح والوضوح، والبيان: الفصاحة، وكلام بين فصيح، والبين من الرجال: الفصيح.[2]

وفي القرآن الكريم ورد لفظ "البيان" ومشتقاته بهذا المعنى، قال تعالى: "الرَّحْمَانْ عَلَّمَ القُرْآنْ، خَلَقَ الإنْسَانْ، عَلَّمَهُ البَيَانْ" الرحمان، الآية(1-4)، وقوله تعالى أيضا: "هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ" آل عمران، الآية(138)، وقال تعالى أيضا:" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ" النحل، الآية (89).

وفي الحديث الشريف، ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم" إن من البيان لسحرا..."، ومعناه أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه، لأن معنى السحر قلب الشيء في عين الإنسان، ألا ترى أن البليغ يمدح إنسانا حتى يصرف قلوب السامعين إلى حبه، ثم يذمه حتى يصرفها إلى بغضه.[3]

فالبيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف والإيضاح، وإظهار المقصود بأبلغ لفظ، من أجل تحقيق غاية الفهم والإفهام.

ب. **اصطلاحا**: تعددت مفاهيم البيان عند علماء البلاغة، فوردت بتعاريف مختلفة منها:

---

[1] بن عيسى باطاهر ،البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، ص:41.

[2] طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996، ص:19.

[3] أمين أبو ليل، علوم البلاغة: المعاني، البيان، البديع، دار البركة، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1427هـ، 2006، ص139.

عرف الجاحظ البيان بقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان وذلك الموضع"،[1] فالبيان عند الجاحظ هو حسن وبراعة المتكلم في إيصال المعنى إلى السامع من أجل تحقيق غاية الفهم والإيضاح.

وعرفه القزويني بقوله: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، أي على المعنى"،[2] معنى هذا أن البيان هو قدرة المتكلم على إيصال المعنى الواحد بأوجه متعددة مع الحفاظ على دلالة الكلام.

قال البلاغيون: البيان معرفة إيراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد، وفي هذا قال عبد القاهر الجرجاني: إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأسبق رفعا، وأحلى جني، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان".[3]

من خلال تعاريف البلاغيين لعلم البيان نستطيع القول أن علم البيان هو العلم الذي يبحث في كيفية تأدية المعنى الواحد بطرق تختلف في وضوح دلالتها ذلك أن مجال علم البيان هو الصورة الأدبية التي يبدعها المتكلم فيستطيع من خلالها التعبير عن المعنى الواحد بطرائق مختلفة، بعضها أكثر جمالا من بعض، ويكون تأثيرها في النفس على قدر ما فيها من الإبداع في رسم تلك الصورة وجعلها قريبة من العقل والوجدان.

2 .نشأته وتطوره:

مرت البلاغة العربية بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت عليه، وكانت مباحث علومها مختلطا بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية وكانوا يطلقون عليها "البيان"، وقد أخذت ملاحظات البيانات تنشأ عند العرب منذ العصر الجاهلي، ثم مضت هذه الملاحظات تنمو بعد ظهور الإسلام لأسباب شتى، منها تحضر العرب واستقرارهم في المدن والأقطار المفتوحة، ونهضتهم العقلية، ثم الجدل الشديد الذي قام

---

[1] أبو شوارب، أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007، ص:19 .

[2] عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، ص: 38.

[3] طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، البلاغة العربية: البيان والبديع، ص: 20،21.

بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة، فكان طبيعيا لذلك كله أن تكثر الملاحظات البيانية والنقدية تلك التي نلتقي بها في تراجم بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين في كتاب مثل: كتاب "الأغاني" للراغب الأصفهاني.[1]

وإذا انتقلنا إلى العصر العباسي فإننا نلتقي بكتاب "معاني القرآن" للفراء، الذي يعنى فيه بالتأويل وتصوير خصائص بعض التراكيب، والإشارة إلى ما في آي الذكر الحكيم من الصور البيانية. كما أن كلمة "البيان" هنا تذكرنا بكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ إذ كان معنى البيان عنده مرادفا لجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ.

فالبيان اسم جامع لكل شيء كشف له قناع المعنى وهتك الحجب حتى يصل السامع إلى الحقيقة، وهو يحقق الكشف والإيضاح والفهم والإفهام.

أما "عبد القاهر الجرجاني" الذي يعد مطور البحث البلاغي وواضع أصوله في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" فقد تحدث عن البيان قائلا: "إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأسبق رفعا وأحلى جني وأعذب وردا وأكرم نتاجا وأنور سراجا من علم البيان" [2]، وقد عمد إلى مفردات علم البيان ونظر فيها وتعقبها ليضع بذلك مقاييس علم البيان، غير أن قواعد هذا العلم كانت مختلطة عند الجرجاني بقواعد علم المعاني وعلم البديع.

وبعد عبد القاهر الجرجاني نجد "الزمخشري" يذكر مصطلحي "علم المعاني" و"علم البيان" في تفسيره "الكشاف"، ويبدو أن "الزمخشري "أول من ميّز بين المصطلحين وقسمّ البلاغة إلى علمين " علم المعاني" و"علم البيان"، وذكر "فخر الدين الرازي،" هذين الكتابين في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز".[3]

أما" ابن الأثير" فقد أخذ البيان في كتابه "المثل السائر" معنى واسعا هو تأليف النظم والنثر.

وظل علم البيان عند البلاغيين السابقين يدل على علم البلاغة كله ويكادون يجمعون على أن البيان هو الإفصاح عما في النفس من المعاني والأحاسيس وهذا المعنى الأدبي أعطى للبلاغة حياة وأكسبها رونقا، إلى أن جاء "السكاكي" الذي أرسى قواعد هذا العلم وأصبحت دلالات البيان محصورة في نطاق مباحث رئيسية هي: التشبيه، المجاز، الكناية، فالبيان بدأ بدلالات واسعة شملت البلاغة عند البلاغيين الأوائل، لكنها صارت محدودة الدلالة عند

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، ص: 201.

[2] طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان، البديع، ص:21.

[3] نفسه، ص:21.

السكاكي ومن تابعه من البلاغيين المتأخرين، فالسكاكي هو الذي استطاع أن يفصل بين علم البيان وعلوم البلاغة الأخرى وأصبح علم البيان علما مستقلا بذاته له قواعده وأصوله الخاصة. [1]

3 . موضوعاته:

مجال علم البيان هو الصورة الأدبية، وهي الوسيلة الفنية التي يعتبر بها عن المعنى، لهذا تسابق الأدباء والشعراء إلى اختراع الصور وتجويدها وجعلوها غايتهم الأولى، وقد عني البلاغيون بهذا العلم ومصطلحاته المختلفة، ودرسوا مباحثه في ثلاث أبواب رئيسية هي: التشبيه، المجاز والكناية.

أ. التشبيه:

من أقدم صور البيان ووسائل الخيال وأقربها إلى الفهم، وهو لون من ألوان التعبير الفني تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، وقد ورد له عدة تعريفات عند علماء البلاغة نذكر منهم:

عرفه القزويني بقوله: "التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى".

وعرفه ابن الأثير بقوله: "التشبيه أن تثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به".[2]

من خلال تعاريف البلاغيين فإن التشبيه يدل على مشاركة أمر لآخر في صفة من الصفات، فهو محاولة الربط بين شيئين تجمع بينهما صفات مشتركة. ويتألف التشبيه من أربعة أركان رئيسية هي:

المشبه: وهو الطرف الذي يقصد تشبيهه بأمر آخر.

المشبه به: وهو الطرف الذي يقصد أن يشبه به طرف آخر لغرض بلاغي ما.

أداة التشبيه: هي اللفظة المستعملة لربط المشبه بالمشبه به، وأشهرها "الكاف".

وجه الشبه: هو الصفة أو الصفات التي تجمع المشبه بالمشبه به.

مثل قول الشاعر:

---

[1] ينظر: طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان والبديع، ص: 22.

[2] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 216.

أَنْتَ نَجْمٌ فِي رِفْعَةٍ وَضِيَّاءٍ تَجْتَبِيكَ العُيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا

فقد شبه الشاعر الممدوح بالنجم في الرفعة والضياء، واحتوى التشبيه هنا على ثلاث أركان هي: المشبه "أنت" المشبه به "نجم" وأوجه الشبه "رفعة وضياء".[1]

وقد ذكر البلاغيون أنواع التشبيه وقسموها إلى عدة أقسام منها:

التشبيه من حيث الأداة:

تشبيه مرسل: وهو ما ذكر فيه أداة التشبيه كقول الشاعر:

وَالنَّفْسُ كَالطِفْلِ إِنْ تُمْهِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطُمْهُ يَنْفَطِمُ

تشبيه مؤكد: وهو ما لا نذكر فيه أداة التشبيه، كقول الشاعر:

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ

التشبيه باعتبار وجه الشبه:

تشبيه مفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل قول الشاعر:

يَاشَبِيهَ البَدْرِ حُسْنًا وَضِيَّاءً وَمَنَالًا وَشَبِيهَ الغُصْنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا.

تشبيه مجمل: وهو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، مثل قول الشاعر:

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانْتَقِينَ أَهْلَهُ وَمَسْنَ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَاذِرَا.

تشبيه بليغ: وهو ما حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، ويقوم على ادعاء أن المشبه صورة من المشبه به، أو بلغ منزلة المشبه به كقولنا: الجندي أسد، القط فهد، ومنه قول الشاعر:

وَسِرْتِ تُشَوِّهُ سِحْرَ الوُجُودِ وَتُنْذِرُ شُوكِ الأَسَى فِي رُبَاهُ.[2]

تشبيه مقلوب: وفيه يأتي المشبه مكان المشبه به بهدف المبالغة كأن تشبه إنسانا كريما بالبحر فتقول:

---

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 216، 217.

[2] حمدي الشيخ، الوافي في تيسير البلاغة، ص: 13، 14.

الرجل بحر---تشبيه بليغ.

البحر مثله--- تشبيه مقلوب.

ومنه قول الشاعر الذي يصور اتساع الصحراء باتساع صدر الحليم:

أُحِنُّ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَلَاةٌ كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الحَلِيمِ

تشبيه ضمني: يفهم من سياق العبارة ضمنا، وتقدر أطرافه وفق فهم المعنى، ومنه قول الشاعر:

اصْبِـــرْ عَلَى كَيْدِ الحَسُو دِ فَإِنَّ صَـــبْرَكَ قَاتِلُهُ

فَالنَّـــارُ تُأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِـــدْ مَا تَأْكُلُهُ

فالشاعر يشبه الحسد بنار تأكل بعضها إن لم تجد حطبا، كذلك الحسود فإن الحسد كالنار في صدره تأكل قلبه إن لم يجد من يحسده.

التشبيه من حيث البساطة والتركيب:

التشبيه المفرد: هو ما كان فيه وجه الشبه أمرا واحدا مفردا، ومن ذلك قول أبو علاء المعري:

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِي الحُسْـ ـنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطَّيْلَسَانِ

التشبيه المركب: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من عدة صور تركيبية، ويسمى التشبيه التمثيلي، ومنه قوله تعالى: "مَثَلُ الذِّينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ انْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مَائَةُ حَبَّةٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمْ" البقرة الآية(261)، وقوله تعالى أيضا: "مَثَلُ الذِّينَ حَمَلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ الحِمَارُ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" الجمعة الآية (5).[1]

وللتشبيه خصائص تعبيرية كثيرة تجعله قادرا على إيراد المعاني الخفية في صورة جلية، وعرض الأفكار البعيدة بتعبيرات تجعلها قريبة فضلا عما تلبسها من أثواب جميلة، وما يفيد من التقرير والتوكيد، قال أبو هلال العسكري: التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا ولهذا أجمع جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه وموقعه من البلاغة. وكلما كان التشبيه مقبولا طريفا ممتعا أحدث

[1] ينظر: حمدي الشيخ، الوافي في تيسير البلاغة، ص: 14، 15، 16.

استجابة لدى المخاطبين، وقد تحدث البلاغيون عن ذلك ومثلوا له بأمثلة كثير من القرآن الكريم والسنة الشريفة وكلام البلغاء، تدل كلها على بلاغة التشبيه ووظيفته الابلاغية في توصيل المعاني إلى النفوس في أحسن صورة من اللفظ.

ب.المجاز:

وُلع العرب بالمجاز، وكثر استعمالهم له حتى عدوه من مفاخر كلامهم، فإنه دليل فصاحتهم، ورأس بلاغتهم، وبه بانت لغتهم عن سائر اللغات.و قد أورد له البلاغيون عدة تعاريف منها:

فقد عرف الجاحظ المجاز بقوله: "هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي".[1]

وعرفه السكاكي بقوله: "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع".

أما عبد القاهر الجرجاني فقد عرفه بقوله: "أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما يجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز".[2]

من خلال تعريف البلاغيين للمجاز يمكن القول أن المجاز هو انصراف اللفظ عن معناه الحقيقي الذي وضع من أجله إلى معنى غير حقيقي لوجود قرينة تدل على هذا المعنى الحقيقي المقصود.

وقد قسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين:

المجاز العقلي: ويكون في الإسناد دون المعنى، فالألفاظ فيه تدل على ما وضعت له في اللغة، لكن المتكلم يخرج بها عن الوجه المعهود في إجرائها في التركيب النحوي، وعمد إلى إجراء تركيبا جديدا لها، وسمي بالمجاز العقلي لأنه يقوم على إزالة رابط عقلي يجري به تأليف الكلام، يتركب المجاز العقلي من عدة علاقات منها:

العلاقة الزمانية: وهي إسناد اللفظ الحقيقي إلى زمان وقوعه، مثل قول طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

[1] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، البيان، البديع، ص:330.
[2] نفسه، ص: 332،333.

فقد أسند الإبداء إلى الأيام، بينما هو في الحقيقة لما في الأيام من حوادث.

العلاقة المكانية: وهي التعبير عن اللفظ الحقيقي بمكان وقوعه، مثل قول الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غُضَابَا

فالشاعر أراد المطر والسماء هو مكان المطر.

العلاقة المصدرية: مثل قول أبي فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

فقد أسند الفعل "جد" إلى مصدره "جدهم" أي اجتهادهم.

العلاقة الفاعلية: مثل قوله تعالى: "جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا" الإسراء الآية(45)، أي حجابا ساترا.

العلاقة المفعولية: مثل قول الحطيئة:

دَعِ المكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

أي المطعوم المكسو، فالحطيئة نسب إلى المهجو فعل الإطعام والاكساء ويريد انه يطعم ويكسو.

العلاقة السببية: وهي نسبة الشيء إلى سببه مثل قوله تعالى: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ بْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابْ" غافر الآية(36)، فقد أسندت الآية فعل "ابن" إلى فاعل هو ضمير مستتر عائد على "هامان"، وهامان ليس الفاعل الحقيقي بل الفاعل الحقيق هو العمال، لكن هامان هو السبب، فالعلاقة سببية.[1]

المجاز المرسل: هو كل لفظة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وسمي مجازا مرسلا لأن العلاقة فيه ليست محصورة في واحدة بعينها، وإنما أطلقت وأرسلت وأصبحت تشمل أكثر من جهة بيانية.

---

[1] ينظر: محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة العربية، البديع، البيان، المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د.ط، 2008، ص: 234، 239.

وقد تحدث البلاغيون بإسهاب عن العلاقات في المجاز المرسل التي فاق عددها العشرين عند بعضهم، لكننا ولكثرتها نكتفي بذكر الأهم ومنها:

العلاقة السببية: هي تسمية الشيء باسم سببه مثل قولنا: رعى الجواد الغيث فالغيث مجاز وهو سبب أطلق على نتيجته(المسببة) وهي العشب، والقرينة "رعى" وبما أن الغيث سببا في العشب، فالعلاقة سببية.

العلاقة المسببة: ويقصد بهذه العلاقة تسمية الشيء باسم نتيجته، أو ما يتسبب عنه فيستعملون اللفظ الدال على المسبب "النتيجة"، ويريدون السبب مثل قوله تعالى: "وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا"غافر الآية (13)، فالرزق لا ينزل من السماء إنما الذي ينزل هو الغيث الذي يروي الأرض ويسبب العشب.

العلاقة الكلية: ويقصد بها تسمية الشيء باسم كله، بحيث يستعمل اللفظ الدال على الكل ويراد جزء منه، ومن ذلك قوله تعالى: " إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ" نوح الآية (7) فكلمة أصابعهم مجاز لأن الإنسان لا يستطيع أن يجعل إصبعه كله في أذنه والمقصود أناملهم فالعلاقة كلية.

العلاقة الجزئية: ويقصد بها البلاغيون تسمية الشيء باسم جزئه، بحيث يستعملون اللفظ الدال على جزء الشيء ويريدون الشيء كله، مثل قوله تعالى: "وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ، إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا"النساء الآية (45)، فالرقبة وحدها لا تحرر، وإنما الذي يحرر الذات، فأطلق الجزء وهو الرقبة وأراد الكل وهو العبد.

العلاقة المحلية: وهي تسمية الشيء باسم محله، مثال "حكمت المحكمة بإدانة المتهم"، فالمحكمة مجاز والمقصود القضاة لأن البناء لا يحكم وبما أن المحكمة محل للحكام فالعلاقة محلية.

العلاقة الحالية: ويقصد بها النسبة إلى الفاعل، أي الحال مشتقا من حل بالمكان: نزل فيه، فهو حال أي نازل ومقيم، فالعلاقة تتحقق بإطلاق اسم الحال في المكان على محله. مثل قوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونْ"آل عمران الآية (107)أي في الجنة، لأنها محل الرحمة، وسميت الجنة محل الرحمة باسم الحال فيها "الرحمة" والقرينة "هم فيها خالدون".[1]

وقد أشار البلاغيون إلى أن خروج المتكلم من الحقيقة إلى المجاز يحقق أهدافا كثيرة، لعل أبرزها: التوسع، التشبيه، التوكيد، فالتوسع يعني الزيادة في المعاني الجديدة، والتشبيه يكون عادة عن طريق الاستعارة التي توجد علاقة التشابه بين

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، ص :174، 180.

شيئين يكون أحدهما مذكورا والآخر محذوفا، أما التوكيد فلتمكين المعاني في النفوس، فالمجاز أبلغ من الحقيقة وأكثر مبالغة في التعبير، يقول القزويني: "أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأن الانتقال في المجاز والكناية انتقال من الملزوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشيء بنية وحجة، كما أجمعوا على أن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز". [1]

3) الكناية:

من أبرز أساليب وصور التعبير الفني التي برع فيها الأدباء منذ القديم والتي تجلت من خلالها فصاحتهم وبلاغتهم التي لا تضاهى.

والكناية هي: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، كقوله: "فلان طويل النجاد" أي طويل القامة، "وفلانة نؤوم الضحى" فالمعنى المباشر الذي يدل عليه التركيب أن فلانة تصحو من النوم متأخرة ويحتمل هذا المعنى، لكن القائل لم يقصد هذا المعنى وإنما قصد من وراء التركيب معنى آخر أبلغ وهو أن فلانة مخدومة مترفة غير محتاجة إلى السعي بنفسها لخدمة بيتها ولا يمتنع أن يراد مع ذلك "طول النجاد، النوم ضحى" من غير تأول.[2]

كناية عن صفة: هي الكناية التي يستلزم لفظها صفة، مثل قول الشاعر:

كَمْ نَبَتْ أَسْيَافُنَا فِي مَلْعَبٍ وَكَبَتْ أَجْيَادُنَا فِي مَلْعَبِ

ففي كل من الصدر والعجوز كناية عن الخيبة والانتكاسة، وهي كناية عن صفة، وهذا النوع من الكناية ينقسم إلى قسمين:

كناية قريبة: وهي التي لا يحتاج فيها الانتقال من المعنى الحقيقي للكلام إلى المعنى المجازي إلى أكثر من خطوة واحدة، مثال: جاء في الحديث الشريف: "اليد العليا خير من اليد السفلى" فاليد العليا كناية عن العطاء، والسفلى كناية عن الأخذ، فالمقصود من الحديث يدرك بسرعة لعدم وجود وساطة.

كناية بعيدة: ويحتاج فيها إلى أكثر من خطوة واحد للوصول إلى المعنى المجازي المراد من الكلام مثل: "فلان كثير الرماد" فالمعنى المجازي هو "الكرم" لكن الوصول إليه يستلزم عدة تفسيرات.

---

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص: 246.

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2003، ص:63.

كناية عن موصوف: وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما، مثل قولنا: "هم أبناء الضاد" كناية عن اللغة العربية، وفي قوله تعالى: "أَوَ مَنْ يَنْشَأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَّ مِنَ الخِصَامِ غَيْرَ مُبِينِ" الزخرف الآية(18)، ففي قوله ينشأ في حلية أي في الزينة وهي كناية عن موصوف وهو البنات.

كناية عن نسبة: وهي الكناية التي يستلزم لفظها نسبة من الصفة وصاحبها المذكورين في اللفظ، وتنفرد عن النوعين السابقين بأن المعنى الأصلي للكلام غير مراد فيها، وأننا نصرح فيها بذكر الصفة المراد إثباتها للموصوف، وإن كنا نميل بها عن الموصوف نفسه إلى ما له اتصال به، مثال: "هذا بيت شرف" إذا نسبنا الشرف إلى أصحاب البيت عن طريق إسنادنا هذا الشرف إلى البيت نفسه، ومنها قول البحتري:

أَوَمَا رَأَيْتَ المجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

ففي قوله: "المجد ألقى رحله في آل طلحة" كناية عن نسبة، إذ جعل المجد يحط رحاله في ديار آل طلحة فنسب المجد إليهم.[1]

فالكناية أسلوب من أساليب البيان التي لا يقوى على الوصول إليها إلا كل بليغ متمرس، لطف طبعه وصفت قريحته، وميزة الكناية أنها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وبلاغة الكناية تكمن في أنها تضع لك المعاني في صور المحسوسات، ولا شك أن هذه خاصية الفنون وقد عرض الجرجاني مزية الكناية فقال: قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح، وإن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبدا أبلغ من الحقيقة، وقد ذهب" السكاكي" إلى القول وأعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني، متفقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر.

فهذه هي مباحث علم البيان الرئيسية التي أصبحت لها قواعدها وأسسها تميزها وتفصلها عن باقي مباحث علوم البلاغة الأخرى.[2]

4.أهميته:

تكمن أهمية وبلاغة علم البيان في رسم الصورة البديعية التي من شأنها التأثير في النفوس، وهو علم نستطيع بواسطته أن نؤدي المعنى الواحد بطرائق مختلفة من اللفظ بعضها أوضح من بعض كالاستعارة، الكناية، المجاز، وهذه

---

[1] ينظر: محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة العربية، البديع، البيان المعاني، ص: 243، 247.

[2] ينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة: المعاني، البيان، البديع، ص: 206، 207.

الصور هي التي تبعث الجمال في النفس والإعجاب لأنها قائمة على الخيال الواسع الخصب، والإحساس المرهف الذي نجده عند المبدعين من أهل صناعة الكلام، ويأتي التأثير في النفس أساسا بتلك الصورة الأدبية الجميلة وقدرة البليغ على رسم هذه الصورة الحية المتحركة وعرض المعنويات في صورة المحسوسات حتى تجد طريقها إلى النفوس والقلوب على حد سواء.[1]

المطلب الثالث: علم البديع

1. تعريفه:

أ. **لغـــــة**: المحدث العجيب، والبديع المبدع، أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء، وإحداثه إياها وهو البديع الأول قبل كل شيء، والله تعالى كما قال: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" البقرة، الآية (117)، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق، وبديع: فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر، وسقاء بديع: جديد وحبل بديع: جديد، وأبدع الشاعر: جاء بالبديع، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولا.[2]

ب. **اصطلاحا**: علم البديع علم تابع لعلمي المعاني والبيان، فبعد أداء حق المعاني في نظم الكلام، وحق البيان في التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، يأتي علم البديع للقيام بوظيفته في التحسين والتزيين من جهة الألفاظ والمعاني.

والبديع هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام، وهي وجوه تزيد القول حسنا وطلاوة وتقبلا.

2. نشأته وتطوره:

نهض ابن المعتز بجمع ضروب البديع في كتاب حمل اسم: "البديع"، فكان بذلك أول من أفرده بدراسة مستقلة وقد حدد ابن المعتز هدفه من تأليفه بقوله: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة والأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم من أشعار المتقدمين من الكلام الذي أسماه المحدثون البديع".[3]

---

[1] بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ص: 213.

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص: 222.

[3] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000، ص:379.

قسم ابن المعتز كتابه إلى خمسة أبواب هي : الاستعارة، التجنيس المطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وانتهى إلى ضروب البديع محصورة في هذه الأبواب الخمسة لكنه رأى أن إضافة أي باب إليها ضرب من التعسف والمعاندة.

والملاحظ أن ابن المعتز قد جمع فيه أبواب البلاغة بعلومها الثلاث، وكان ذلك سبب تعريفه الشامل للبديع الذي رأى أنه: " اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هي"[1]، ولهذا قال أحد النقاد المعاصرين "وليس لكلمة البديع التي جاءت في عنوان الكتاب صلة بما سماه البلاغيون في العصور المتأخرة "علم البديع"... إنما المقصود بها ألوان طريفة من التعبير لم تكن شائعة مألوفة في استعمالات الشعراء والكتاب".[2] وعلى الرغم من ذلك يبقى الكتاب من أولى المحاولات الجادة في تدوين علم البديع، وذلك أن العلماء لا تبدأ مكتملة بل هي تتكامل وتتماهى بإطراء وتستقل بعد نضجها.

ثم جاء "قدامه بن جعفر" فألف كتابا عنوانه "نقد الشعر" يقع في ثلاثة فصول أورد فيها سبعة وعشرين نوعا من أنواع البديع اتفق فيها مع ابن المعتز في سبعة أنواع فقط وانفرد بعشرين نوعا، وقد اختلفا أحيانا في التسمية، فما سماه "قدامة" المبالغة ورد عن "ابن المعتز "تحت مصطلح الإفراط في الصفة، وما سماه "التكافئ" سماه بن المعتز "المطابقة."..
واختلفا في دلالة الالتفات.

أما" أبو هلال العسكري" في كتاب الصناعتين الذي ابتكر فيه ستة أنواع وأخرج منه أنواعا رأى أنها تنطوي تحت بابي "المعاني والبيان" فنحى معه البديع منحى متخصصا، وجاء علم البديع في الباب التاسع من أبواب الكتاب وقسمه إلى خمسة وثلاثين فصلا، وادعى أنه بذلك حصر أنواع منتهيا إلى رأي شبيه برأي ابن المعتز القائل بأن الأقدمين عرفوا هذه الأنواع، وأن المتحدثين أسرفوا فيها حتى اشتهروا بها، فقد صرح برأيه هذا قائلا: "فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا روية ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها والقدماء لم يعرفوها".[3]

وأما "البقلاني" فقد ذكر في إعجاز القرآن نحو خمسة وعشرين نوعا منبها إلى أن وجوه البديع أكثر من ذلك، ولكنه كان يهدف في كتابه إلى إحصائها وذكرها جميعا.

---

[1] أحمد مصطفى المراغي علوم البلاغة، ص: 379.

[2] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، ص:57.

[3] نفسه، ص:57.

وكذلك اهتم" ابن رشيق" بالبديع وقال: "والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، وأنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة"[1] وشبيه بهؤلاء عبد القاهر الجرجاني فالبديع عنده فنون البلاغة المختلفة إذ قال: "وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع".[2]

إذن فكلمة بديع من خلال هذه الأقوال كلمة عامة لم يكن يقصد منها علم البديع المتعارف عليه الآن، أي بعد استقلاله وخصوصيته، لقد كانت علوم البلاغة الثلاثة متشابكة ممتزجة بعضها ببعض فلم يكن هناك فصل بينها في أوائل المؤلفات البلاغية لدرجة أنهم كانوا يطلقون أحدهم، المعاني، البيان والبديع على باقي الفروع.

3. موضوعاته:

ينقسم علم البديع إلى قسمين: محسنات لفظية ومحسنات معنوية.

المحسنات المعنوية: وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى بالدرجة الأولى، وإن كان بعضها قد يفيد في تحسين اللفظ أيضا كالطباق.

المحسنات اللفظية: وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ، وإن حسن المعنى أحيانا كالجناس في قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة" فالساعة الأولى يوم القيامة، والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن فلو قيل: "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلا"، لضاع ذلك المحسن[3]

والمحسنات البديعية–خاصة اللفظية منها– تكون مقبولة في الكلام إن جاءت دون تصنع أو تكلف، وإلا كانت مرذولة خالية من الحسن والجمال، ومن ثم وجب على المتكلم أن يحسن اختيار الألفاظ والعبارات في كلامه وأن يبتعد عن المبالغة في الزخرفة والتنميق.

وتندرج تحت المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية ألوان عديدة وصلت إلى نيف وعشرون ومائة نوع، ومن هذه المحسنات عند المتأخرين.

---

[1] إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ، 1996، ص:207.

[2] نفسه، ص:207.

[3] ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص: 380.

- **المحسنات المعنوية** ومنها: الطباق، المقابلة، مراعاة النظير، الإرصاد، المشاكلة، التورية، اللف والنشر، الجمع مع التفريق والتقسيم، المبالغة، حسن التحليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح، تجاهل العارف، ...
- **المحسنات اللفظية** وهي كثيرة أيضا منها: الجناس، رد العجز على الصدر، السجع، القلب، التشريع، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، السرقات الشعري[1]...

أولا: المحسنات المعنوية: المحسنات المعنوية كثيرة لكننا سنذكر منها إلا المشهور وهي: الطباق، المقابلة، مراعاة النظير، اللف والنشر.

1. **الطباق**: ويسمى المطابقة والتكافؤ والتضاد، وهو لغة الجمع بين الشيئين، واصطلاحا الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل والتضاد بالإيجاب أو السلب أو العدم أو ما أشبه ذلك، وسواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا. ينقسم الطباق إلى قسمين: طباق إيجاب وطباق سلب.

أما طباق الإيجاب فهو: ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، ويكون بلفظين من نوع واحد من أنواع الكلمة، أو من نوعين مختلفين، أما اللذان من نوع واحد فقد يكونان اسمين كقوله تعالى: "لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ" الأحزاب، الآية(43)، وقوله تعالى: " وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ" الكهف، الآية(18)، وقوله صلى الله عليه وسلم: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة"، وقول علي-كرم الله وجهه- للخوارج حينما قالوا لا حكم إلا لله: هذه كلمة حق أريد بها باطل". وقول المتنبي:

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعْشَقُ مُقْلَتِي فِيهِمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصْلُ

وقد يكونان فعلين كقوله تعالى: "وَأَنَّهُ هُوَّ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَّ أَمَاتَ وَأَحْيَا" النجم الآية(43-44) وقوله تعالى: "تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وتَنْزَعُ الُملْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءْ" آل عمران، الآية(26)، وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: "إنهم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع".

وقد يكونان حرفين كقوله تعالى: "وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِّي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ" البقرة، الآية(228)، وقوله تعالى: "لهَاَ مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" البقرة، الآية (286)، فإن في اللام معنى الانتفاع وفي "على" معنى التضرر، أي لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها.

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص:8.

وأما المختلفان فكقوله تعالى: "أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ" الأنعام، الآية(122)، فإنه قد اعتبر في "الأحياء" معنى "الحياة"، والموت والحياة مما يتقابلان، وقد دل على الأول بالاسم وعلى الثاني بالاسم، وقوله تعالى: "وَأُحْيِي الموْتَ بِإِذْنِ الله" آل عمران الآية(49)، وقوله تعالى: "وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادْ" الرعد، الآية (33)، وقول بعضهم: "الكريم واسع المغفرة إذا ضاقت المعذرة".[1]

وأما طباق السلب فهو: الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي، أو أحدهما أمر وآخر نهي، كقوله تعالى: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا" الروم، الآية(6-7)، وقوله تعالى: "ولا يخلقون شيئا وهم يخلقون" الفرقان، الآية(3)، وقوله تعالى: "يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَّ مَعَهُمْ" النساء، الآية(108). ومن شواهد هذا النوع ما روي أن بشر بن هارون ظهر منه فرح عند الموت، فقيل له: "أتفرح بالموت؟" فقال: "ليس قدومي على خالق أرجوه، كمقامي مع مخلوق لا أرجوه"، وقول أبي الطيب:

وَلَقَدْ عَرَفْتُ وَمَا عَرَفْتُ حَقِيقَةً وَلَقَدْ جَهَلْتُ، وَمَا جَهَلْتُ خُمُولَا

2. **المقابلة**: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة على الترتيب، والمواد بالتوافق خلاف التقابل، حتى يشترط أن يكون متناسبين أو متماثلين بحيث يكون المعنى الأول هنا للمعنى الأول هناك، والثاني الثاني وهكذا والمقابلة أنواع منها.

- مقابلة اثنين باثنين وذلك مثل قوله تعالى: "فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا" فأتى في الطرف الأول بالضحك والقلة وهما متوافقان، ثم بالبكاء والكثرة وهما أيضا متوافقان، وقابل الأول من الطرف الثاني "البكاء" بالأول من الطرف الأول وهو "الضحك" وقابل الثاني من الطرف الأول، وهو "القلة بالثاني من الطرف الثاني وهو "الكثرة"، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه".
- مقابلة ثلاثة بثلاث: مثل قول أبي دلامة:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الكُفْرَ وَالإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

فقد أتى بالحسن والدين والغنى في صدر البيت ثم بما يقابلها من القبح والكفر والإفلاس على الترتيب في العجز، ومثله قول المتنبي:

فَلَا الجُودُ يُفْنِي المالَ وَالجِدُّ مُقْبِلٌ وَلَا البُخْلُ يُبْقِي المَالَ وَالجِدُّ مُدْبِرٌ

[1] ينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة، المعاني، والبيان، والبديع، ص:215، 216.

- مقابلة أربعة بأربعة: ومثال ذلك قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للحسنى، وأما من بخل واستغنى فسنيسره للعسرى" فإنه قابل بين أعطى واتقى وصدق وجملة سنيسره لليسرى، وبين بخل واستغنى وكذب وجملة سنيسره للعسرى، وهناك أيضا مقابلة خمسة بخمسة وستة بستة.[1]

ثانيا: المحسنات اللفظية:

ومن هذه المحسنات: الجناس، السجع، الاقتباس والتضمين.

1. **الجناس**: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، والجناس نوعان: الجناس التام والجناس غير التام.

أ. **الجناس التام**: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: نوع الحروف، عدد الحروف، ترتيب الحروف، هيئة الحروف من حيث السكنات والحركات.[2]

ومثل ذلك قوله تعالى: "يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَخْطِفُ الأَبْصَارَ، يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصَارِ" النور الآية(43-44)الأبصار الأولى معناها العيون، والأبصار الثانية معناها العقول.

وقول الشاعر:

عَلاَ نَجْمُهُ فِي عَالَمِ الشِّعْرِ فَجْأَةً عَلَى أَنَّهُ مَازَالَ فِي الشِّعْرِ شَادِيًّا

"علا" الأولى فعل ماضي من العلو، و"على" الثانية حرف جر.

ب. **الجناس غير التام**: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.

- اختلاف اللفظين في أنواع الحروف: ويشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، ومثال ذلك قوله تعالى: "وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ"الأنعام الآية(26) الجناس في لفظي "ينهون وينأون".
- اختلاف اللفظين في عدد الحروف: ويسمى هذا الجناس ناقصا، وذلك لنقصان حروف أحد اللفظين عن الآخر، ومثال ذلك قوله تعالى: "وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المِسَاقُ".القيامة الآية(29-30) حيث الزيادة هي حرف الميم في لفظة المساق والجناس في لفظي الساق والمساق.
- اختلاف اللفظين في هيئة الحروف ومثاله قوله أبي العلاء المعري:

وَالحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقَهُ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ

---

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص:35، 36.

[2] ينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص: 276.

وقول أبو فراس:

مِنْ بَحْرِ جُودِكَ أَغْتَرِفُ وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفُ

- اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف: ويسمى هذا الجناس القلب (العكس اللفظي) ويكون بأن يشتمل كل من اللفظين على حرف الآخر من غير زيادة أو نقصان، أحدهما يخالف ترتيب الآخر، ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِ وَالرِّيَبِ.

وقع الجناس بين لفظي "الصفائح والصحائف" وهما مختلفان في ترتيب بعض الحروف مع الحفاظ على تعدادها في الكلنة الواحدة.

2. **السجع**: هو أن تتواطأ الفاصلتان في النثر على حرف واحد، والسجع يأتي على ثلاثة أضرب مرصع ومتواز ومطرف، فالمرصع ما اتفقت ألفاظه إحدى الفقرتين أو أكثرهما في الوزن والتقفية كقول الحريري: "فهو يطيع الأسجاع بحواصر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" وقول أبي الفتح البستي: "ليكن إقدامك توكلا وإحجامك تأملا". [1]

والمتوازي ما اتفقت فيه الفقرتان في الكلمتين الأخيرتين نحو قوله تعالى: "وَالمرْسَلاَتِ عُرْفًا فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا" المرسلات، الآية(1-2) وقوله: "فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَة" الغاشية، الآية(13-14).

والمطرف ما اختلف فاصلتاه في الوزن واتفقا في الحرف الأخير نحو: "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا"[2] روح، الآية(13).

3. **الإقتباس**: وهو أن يأخذ الأديب لأية من كتاب الله تعالى أو حديثا نبويا ويضمنه شعره أو نثره دون الإشارة إليه لا على سبيل السرقة بل لتقوية معانيه، وتأكيد قوله وإعطاء صفة القداسة والتعظيم للأمر الذي يتحدث فيه كقول الأصفهاني: لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار وإنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار".

لقد اقتبس الكاتب آية قرآنية وأتم بها معناه فأسبغ عليه الإيحاء والتأكيد والقوة والدلالة المؤثرة في المتلقي وذلك عن طريق تداعيات المعاني وإيحاءات الألفاظ وقداسة الآية القرآنية التي تشف عن ضلال الخوف والرعب والفزع التي يشاهدها الناس يوم القيامة، وكأن الكاتب يقول لمحدثه لا تغرنك قوة الأعداد وتحسب أننا خائفون من لقائهم، إنما نؤخرهم ليوم اللقاء.

وتأمل رد القاضي الفاضل على رسالة أتته فيقول: ورد علي الخادم الكتاب الكريم-يعني رسالة صاحبه- فشكره وقربه نجيا ورفعه مكانا عليا، وأعاد عليه عصر الشباب، وقد بلغ من الكبر عتيا".

---

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص: 277، 298، 299.

[2] نفسه، ص: 299.

وقد أعطى الاقتباس القرآني دلالات عظيمة ومعاني راقية كشفت حفاوة الكاتب واهتمامه برسالة صاحبه، كما أعطت جرسا موسيقيا لطيفا لعباراتها.

ولم يقتصر الاقتباس على آيات القرآن الكريم بل تعداها إلى اقتباس الحديث النبوي وتضمينه في النثر والشعر، ومن شواهد اقتباس الحديث النبوي قول أبي جعفر الأندلسي في حسن المعاشرة:

لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ فَقَلَّمَا يَرْعَى غَرِيبٌ الوَطَنَ

وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ

اقتبس الشاعر جزءا من قول النبي صلى الله عليه وسلم "وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالس الناس بخلق حسن".[1]

4. **التضمين**: وهو أن يضمن الأديب قوله بشيء من شعر غيره، أو حكما أو أمثالا مشهورة.

وللتضمين أهمية عظيمة في تقوية المعنى واستحضار الماضي، الذي قيل فيه الشعر أو الحكمة أو المثل الذي ضمنه الشاعر قوله، كقول أحد الشعراء:

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوَارِدِ لَا سُكْنَى بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي

حيث ضمن الشاعر بيته الشعري بالمثل المعروف: "لا ناقة له فيها ولا جمل" ليعبر عن رفضه الإقامة بالزهراء لعدم امتلاكه فيها ما يدعوه إلى السكنى والإقامة.

ومن التضمين في الشعر الحديث قول فدوى طوقان:

عَلَى أَبْوَابِ يَافَا يَا أَحِبَّائِي

وَفِي فَوْضَى حُكَّامِ الدُّورِ، بَيْنَ الرَّدْمِ وَالشَّوْكِ

وَقَفْتُ وَقُلْتُ لِلْعَيْنَيْنِ

قِفَا نَبْكِ

والتضمين في قولها "قفا نبك" وهو مأخوذ من قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدُخُولِ فَحَوْمَلِ

والتضمين يضاعف إيجاد الكلمات، لما يثيره في نفس القارئ من معان شعورية تربط التراث والمعاصرة، وحيث يستحضر قول امرئ القيس نذكر ذكريات الأحبة، وقول فدوى طوقان في بكاء أطلال يافا بفلسطين، وفي ذلك تأثير في القارئ وتحريك لمشاعره من خلال الربط بين الماضي والحاضر.[2]

---

[1] ينظر: حمدي الشيخ، الوافي في تيسير البلاغة، ص: 63،64.

[2] ينظر: نفسه، ص:65، 66.

إذن كانت هذه هي أهم المحسنات اللفظية التي احتواها علم البديع، وهناك محسنات أخرى كالثورية ورد الكلام على الإعجاز، والتوضيح لكننا لم ندركها لكثرتها واكتفينا بذكر المشهورة.

4. أهميته:

علم البديع يمكننا من معرفة التقنيات اللفظية والمعنوية التي يزداد بها الكلام رونقا شكليا بعد استكمال مقتضياته البيانية واللغوية.

يقوم علم البديع بتحسين الكلام من خلال المحسنات اللفظية والمعنوية، ويكون هذا بعد تحسين الكلام بمطابقته لحال السامع ووضوح دلالته على المعنى المراد فهمه من علم البيان وهذان الأمران الجوهريان (المطابقة ووضوح الدلالة) يكسبان المعنى حسنا يرجع إلى ذاته، أما التحسين بواسطة المحسنات البديعية، فأمر بمثابة الطلاء الجميل ولذا كان الحسن به تابعا للمطابقة ووضوح الدلالة.

ومن هذا يمكن تشبيه البلاغة ببناء جميل بني من عناصر جميلة (المعاني، البيان) أما جمال منظره ومظهره فيمثله علم البديع، فعلم المعاني والبيان إذا يمثلان الهيكل الأساسي لعلم البلاغة أما علم البديع فيمثل الصورة الخارجية لهذا الهيكل والتي تضفي عليه الجمال والرونق حسب استخدام المتكلم له. فإذا ما أصاب المقدار ووقع الكلام موقعه جاء موفقا غير متكلف أعلى للكلام الرونق والبهجة والجمال لأنه كان في خدمة المعنى بخلاف ما إذا كان متكلفا زائدا على حاجة الكلام، ففي هذه الحال يكون عبثا ثقيلا على الكلام ويذهب برونقه وحسنه.[1]

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص:9.

خلاصة:

في الأخير يمكن القول بأن البلاغة من أشرف العلوم التي حظيت باهتمام العلماء منذ القديم، وحتى قبل أن تتشكل وتكتمل في صورتها النهائية، وقد كانت البلاغة العربية في نشأتها كغيرها من العلوم ليست لها حدود تعرف بها ولا قضايا تختص بها دون غيرها، ولا مصطلحات تقتصر عليها، إنما كانت بابا من أبواب فن القول العربي.

وقد مرت البلاغة بمراحل كثيرة وتطورت عبر مراحل على أيدي باحثين جدد إلى أن وصلت إلينا بأقسامها وفروعها، وأول ما يصادفها حسب تقسيمات علماء البلاغة هو علم المعاني وثانيهما البيان وثالث الثلاثة البديع.

وهذه العلوم الثلاثة كانت متداخلة فيما بينها فلم يكن هناك فصل، إذ كانت قواعد علم البيان مختلطة عند الجرجاني بقواعد المعاني والبديع، ولم يتم فصلها وتمييزها عن بعضها إلا على يد "السكاكي" في القرن السابع الهجري، وأصبح علم البيان بذلك علما مستقلا بذاته له قواعده وأصوله الخاصة.

وأما علم المعاني فقد نشأ متأخرا بعد علم البيان، وإن كان علماء البلاغة لم يحددوا أول من اقتحم ميدانه، وإنما جاءت شذرات متفرقة على ألسنة وأقلام الأدباء كجعفر بن يحيى، إلا أن هذه الشذرات والنتف المتفرقة ما كانت لتجعل من علم المعاني قائما برأسه له طابعه الخاص المميز دون غيره، ولعل أول من ضرب بسهم وافر وعكف على تدوين مباحثه هو الجاحظ في كتبه خاصة "الحيوان والبيان". كل هذا كان في العصر العباسي الأول فلم يكن حظ علم المعاني بأوفر من علم البيان، إذ بقيت بحوثه متفرقة حتى أوائل العصر العباسي الثاني ولم يستقل تماما إلا في القرن السابع الهجري.

فصورة البلاغة إذن بعلومها الثلاثة، لم تستقل ولم تتميز التمييز الذي تعرفه إلا بفضل كل شعبة من شعب البلاغة، وتهذيب المسائل وترتيب الأبواب يعود لخاتمة العلماء "السّكاكي" في كتابه المفتاح الذي خص الجزء الثالث منه ببحث هذه العلوم الثلاثة كل على حدة في صورته التامة، ومن أبواب البلاغة وبالتحديد علم المعاني والتقديم والتأخير الذي سنتعرف عليه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

تمهيد

المبحث الأول: ماهية التقديم والتأخير.

المطلب الأول: مفهوم التقديم والتأخير "لغة واصطلاحا."

المطلب الثاني: نشأة مسألة التقديم والتأخير.

المطلب الثالث: طرائق التقديم والتأخير.

المبحث ثاني: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير.

المطلب الأول: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير.

المطلب الثاني: أضرب التقديم والتأخير.

المطلب الثالث: أهمية التقديم والتأخير.

خلاصة

تمهيد:

علم المعاني من علوم البلاغة العربية، وهو أحد المباحث الذي يعنى بتركيب وبناء الجملة والبحث عن دلالتها داخل النص، لاسيما أنه يقوم على إعادة ترتيب مكونات وعناصر الجملة، فيقوم ما حقه التأخير في عرف اللغة واصطلاح النحاة ويؤخر ما حقه التقديم، ولا يتم ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية.

فالتقديم والتأخير باب من أبواب علم المعاني، لكن بذوره الأولى كانت نحوية قبل أن تكون بلاغية خاصة عند سيبويه في كتابه "الكتاب" الذي كان شهرته في النحو والذي فاض فيه بدراسة وتحليل ظاهرة التقديم والتأخير دراسة نحوية وافية، إلا أن النحو الذي نعرفه اليوم لم يكن في عصر سيبويه مستقلا عن سائر علوم اللغة وإنما كان جزء منها، و"الكتاب" ليس كتاب نحو فقط إنما هو كتاب في علوم اللغة كالنحو، الصرف، القراءات، العروض، البلاغة وغيرها، ففيه إشارات كثيرة مما دخل فيما بعد تحت اسم البلاغة لكنه يختلف عن كلام البلاغيين، يقول سيبويه"هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى، لا تسعهم في الكلام والإيجاز والاختصار..." وهذا يعني أن براعة البلاغة تكمن في الإيجاز والاختصار.[1]

فالدرس البلاغي مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم النحو الذي يهتدي به إلى بناء الكلمات وبيان علاقاتها داخل التركيب ثم يبدأ الفن البلاغي بالتصرف في العبارة بجعلها سلسلة قوية التأثير، فهذه إشارة إلى أثر النحويين في مباحث التركيب تأثيرا مباشرا حيث نجد إشارات إلى الحذف وأسبابه والتقديم والتأخير وأغراضه التي تبدو بلاغية أكثر منها نحوية، وقد فسرها تفسيرا بلاغيا بل أحيانا نراه يتناولها بعين الطريقة التي سلكها علماء البلاغة من بعد، وذلك اعتبار أن النحو يكسب الكلام المزية الجمالية شأنه في ذلك شأن البلاغة، لأن علم المعاني قائم على فكرة "معاني النحو" مما يثبت هذه الصلة الوثيقة بين النحوي والبلاغي.

ويعد باب التقديم والتأخير في علم المعاني- كما عبر عنه أحد البلاغيين المحدثين- واديا من أودية البلاغة وكنزا من كنوز المعاني، وقال فيه الجرجاني "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية..."[2]

وبهذا فقد أولى علماء البلاغة عناية كبيرة وأهمية بالغة لباب التقديم والتأخير معبرين في ذلك عن جمالية وفنية استخدام هذه التقنية كأخذ السمات المميزة للبلاغة العربية ومن قبلها النحو، فتوظيف التقديم والتأخير كسمة أسلوبية لها قيمتها في التراكيب النحوية ومن ثم البلاغية وما يترتب عن هذه السمة من إجادة وإساءة في النظم.

---

[1] مازن مبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، د.ط، ص: 50، 51.

[2] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء، الإسكندرية، د.ط، ص: 126.

وقد أدار البلاغيون الأوائل آراءهم في مدى تحقيق الإجادة والإساءة في توظيف هذه السمة الأسلوبية وفصلوا القول في مواطنها، وتعددت هذه الآراء بين معياري الإجادة والإساءة، فالقيل منهم ينصرف إلى استجادة هذه الوسيلة الأسلوبية وأهمية توظيفها لإثراء النظم، بينما الكثرة منهم يتجهون اتجاها معارضا إلى استقباحها بكونها أحد وسائل التعقيد والإشكال والغموض.

فتوظيف النحو بلاغيا يكمن في سلامة النظام الدلالي للجملة وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه وتؤخر ما كان يحسن تأخيره وهو ما يطلق عليه حسن الرصف ذلك بأن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها لتأدية معانيها، أما سوء الرصف فهو صرف هذه الألفاظ عن وجوهها وتغير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها وفساد معناها، فاستعمال التقنيات الفنية مثل التقديم والتأخير بشكل من الأشكال يؤدي إلى فساد المعنى وتعصيته وقبح الصورة واستهجانها.[1]

[1]: ينظر: مختار عطية، التقديم ولتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص: 127.

المبحث الأول: ماهية التقديم والتأخير وطرائقه

يبحث علم المعاني في كل تركيب من لفظين يسمى الأول مسندا والثاني مسندا إليه، وأما صلة النسبة بينهما فتسمى إسنادا.

فالمسند إليه: هو المخبر عنه أو صاحب الأمر المتحدث عنه، وهو المبتدأ أو ما يقوم مقامه في الجملة الاسمية، والفاعل أو ما قام مقامه في الجملة الفعلية.

والمسند: هو المخبر به، أو هو الأمر المعطى إلى المسند إليه، وهو الخبر أو ما قام مقامه في الجملة الاسمية، والفعل أو ما قام مقامه في الجملة الفعلية.

فقوله تعالى: "اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ" الزمر، الآية (59).

الله: مسند إليه، مبتدأ، وهو المخبر عنه، والمحكوم بالقدرة.

خالق: مسند خبر، وهو المخبر به، أو الحكم المعطى للمسند إليه.

وقد يتعرض الإسناد بركينة (المسند والمسند إليه) ومتعلقات الفعل، من مفعول به، وحال، وشبه جملة وغير ذلك من المتعلقات إلى أنواع كثيرة من التأليف والتركيب، وهي تأتي في الكلام على طرائق وأساليب متنوعة ومن أهمها أسلوب التقديم والتأخير[1].

المطلب الأول: مفهوم التقديم والتأخير

أ. **لغـــــة:** يقال تقدمه وتقدم عليه واستقدم، وقدمته وأقدمته، فقدم وأقدم بمعنى تقدم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة، والإقدام في الحرب.

والقدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم وقدم واستقدم: تقدم وأقدم على الأمر: شجع، وأقدمت وقدمته ويقال: مضى قدما وتأخر أخرا، وجاء في أخريات الناس، وأخرته فتأخر، واستأخر كتأخر، ومنه قوله تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْنَا المسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المسْتَأْخِرِينْ" الحجر الآية (24).

والآخر خلاف الأول، ويقال: لا مرحبا بالآخر أي بالأبعد، وتأخر وأخر تأخيرا استأخر.

والقدم: المضي أمام، ونقول يمضي قدما أي لا ينثني، والقدوم: الرجوع[2] من السفر، وقدم يقدم وهو خلاف وراء.

---

(1) ينظر : يوسف أبو العدوس ، البلاغة والأسلوبية ، ص : 69 .

(2) الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، ص: 366، 367.

كما ورد في لسان العرب: "التأخير ضد التقديم، ومؤخر كل شيء بالتسديد خلاف مقدمة".[1]

فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يعني الأول يوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويعني الثاني يوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه.

ب. **اصطلاحا**: اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة، يقول "الثعالبي": " العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره كما قال عز وجل: "يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينْ" آل عمران الآية (43)، وكما قال تعالى: "فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنْ" التغابن الآية (02)، وكذلك قوله تعالى: "يَهِبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهِبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورْ" الشورى الآية (46)، وكما قال تعالى: "وَهُوَّ الذِّي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" الأنبياء الآية (33). وقول حسّان بن ثابت في ذكر بني هاشم:

بِهَا لَيْلٌ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ المتَخَيَّرُ.[2]

وكذلك قول الصلتان العبدي:

فَمِلَّتُنَا أَنَّنَا مُسْلِمُونَ عَلَى دِينِ الصِدِّيقِينَ وَالنَبِيِّ[3]

فقد تقدم في الآية الأولى القنوت والسجود على الركوع وهو قبلها، وتقدم في الآية الثانية الكافر على المؤمن وهو الأصل، وتقدم في الآية الثالثة الإناث على الذكور وهنّ أولى، وتقدم الليل على النهار في الآية الأخيرة وفي بيت حسان تقدم جعفر وعلي على النبي صلى الله عليه وسلم، كما تقدم في بيت العبدي الصديق أبو بكر على النبي أيضا.

ولا شك أن العرب كانت تفعل ذلك "دلالة على ملكتهم في صوغ الكلام وحاجتهم في إجادة المعنى وتحقيق الغرض، حتى أتى هذا المبحث في كلامهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق.[4]

ويعرف النحاة العرب التقديم والتأخير أن "اللفظ تابع للمعنى في النظم وأن الكلمة تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء، لما كان وقع في النفس، لذا يجب مراعاة الترتيب والنظم وأن يجعل لها أمكنة ومنازل وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك".[5]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص: 65.

[2] مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص:133.

[3] نفسه، ص: 133.

[4] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ط، ص: 233.

[5] عبد الله جاد كريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 201.

وبهذا يمكن القول أن التقديم والتأخير عند النحاة لم يرد إلا من خلال بعض الإشارات لأنهم لم يفردوا له أبوابا خاصة، وهذا لا يمنع القول بأن التقديم والتأخير من أهم مظاهر التحويل في النحو العربي.

هذا بالنسبة لمفهوم التقديم والتأخير عند النحاة، أما عند البلاغيين فيعد وادا من أودية البلاغة وكنزا من كنوز البيان، وأفردوا له أبوابا خاصة وقاموا بدراسته وتحليله ثم وضعوا له قواعد وضوابط تعصم الأذهان من الخطأ في فهمه. كما اصطلحوا عليه باصطلاحات عديدة، فهناك من عده أحد الأساليب البلاغية نتيجة تمكنهم في الفصاحة، وهذا ما ذهب إليه الزركشي حين قال بأنه أحد الأساليب البلاغية التي تؤكد امتلاك العرب لأساليب الفصاحة والبيان.

وهناك من عده بابا من أبواب البلاغة لكثرة فوائدة وسعة تصرفه، يقول عبد القاهر: "باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف".[1]

وقد أبدع عبد القاهر في شرح قواعد هذا الفن وبيان فائدته البلاغية، وقد كان الناس قبله يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثا عاما.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول التقديم والتأخير لا يكون إلا بالنظر إلى البنية الأساسية التي يحددها النظام اللغوي، بترتيب عناصر الجملة فإذا حاولنا تقديم المتأخر أو تأخير المتقدم لا نقطع نظم الكلام ولتنافرت ألوان المعنى ولذهبت فخامة التركيب.

فالتقديم والتأخير اصطلاحا نقل أو تغيير موقع الكلمة من مكان إلى مكان في سياق الكلام، فتأخذ بذلك مكانا خاصا.

المطلب الثاني: نشأة مسألة التقديم والتأخير

تعود جذور مسألة التقديم والتأخير في النحو إلى ما قام به الخليل الفراهيدي، فقد تطرق للحديث عن الأحوال التي تعتري المبتدأ ومن بينها أحوال التقديم والتأخير حيث وضح ما يجوز فيه التقديم وما لا يجوز ومن ثم كان الخليل بمثابة الأساس لشجرة البحث في التقديم والتأخير فقد نقل عنه سيبويه أنه يرى أن قولك: "قائم زيد" ليس بقبيح أن تجعل قائم مبتدأ و"زيد" خبره، يقول السيرافي: "ليس بقبيح أن تجعل قائم خبرا مقدما، والنية فيه التأخير".[2]

وبعد الجليل يأتي دور سيبويه في كتابه "الكتاب" الذي يحدثنا فيه عن التقديم والتأخير بكلام يعتبر هو العمدة وصاحب الريادة، وربما كان أول من أبرز سر هذا اللون البلاغي من العلماء بعد الجليل، فقد كان العلماء قبله يعرفون التقديم والتأخير ولكنهم لم يقفوا على أسراره البلاغية.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1989، ص: 106.

[2] عوض حمدي القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983، ص: 102.

وتكمن إشارة سيبويه إلى التقديم والتأخير في حديثه عن المفعول والفاعل حيث قال: "إنهم يقدمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم" فقد قصد سيبويه التقديم على العناية بالمقدم والاهتمام به.

كما أشار بن جني في باب القول عن الإعراب إلى مصطلح التقديم والتأخير حيث قال: " ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد عمرا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا ضرب عمراً زيدٌ، فإن زادت عنايتهم به قدموه إلى الفعل الناصية، فقالوا عمراً ضرب زيدٌ"[1] وتقديم المفعول عند ابن جني يأتي لداعي الاهتمام والعناية التي أشار إليها سيبويه.

وبالرغم من إشارات هؤلاء للتقديم والتأخير إلا أن هذا المصطلح لم يبرز بشكله الفني المتكامل إلا على يد علماء البلاغة الذين فردوا له أبوابا خاصة وكشفوا عنه الستار في كثير من لطائفه وأسراره، وهذا ما أدى بكثير من علماء البلاغة إلى مدحه والإشادة به، ونخص بالذكر "عبد القاهر الجرجاني" والإمام "الزركشي" صاحب كتاب "البرهان في علوم القرآن".

وأول من طرق باب التقديم والتأخير هو عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه "الأسرار والدلائل" وقد فصل فيه القول وقسمه إلى قسمين: الأول على نية التأخير والثاني لا على نية التأخير، وأشار إلى الفوائد والمحاسن التي تترتب عن تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر.

أما" السكاكي" فقد تطرق إلى مبحث التقديم والتأخير من خلال عملية الإسناد التي تتمحور حول أحوال كل من المسند والمسند إليه، ومما ينتج عن ذلك من أغراض، وقد أدرك أن عملية التقديم والتأخير من فرع علم المعاني – بلاغيا– متزامنة ولا يحدث أي منهما إلا بحدوث الآخر ومن ثم رأى أن اعتبارات تأخير المسند لن يكون إلا عند وجود اعتبارات تقتضي المسند إليه.[2]

المطلب الثالث: طرائق التقديم والتأخير

للبلاغيين في درس التقديم والتأخير طرائق تبحث في دلالة تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض، لتحقيق مرادات المتكلم، وحاجة المخاطب، فدرسوا التقديم والتأخير في الإثبات، كما كانت لهم دراسة وافية للتقديم والتأخير في النفي إضافة إلى بحوثهم الواسعة حول التقديم والتأخير في الاستفهام

---

[1] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، د.ط، 1998، ص: 314.

[2] عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، ص: 131.

.

أولا: التقديم والتأخير في الإثبات

أ. تقديم المفعول على الفعل والفاعل:

يرى ابن جني أن تقديم المفعول على الفعل الناصية تقديم يقبله القياس، ويمثل له بقولهم: "زيدًا ضرب عمرو" وقد يأتي هذا التقديم لنفي اعتقاد غير صحيح، يقول السّكاكي: "أن يكون هناك من اعتقد أنك عرفت إنسانا وأصاب لكن خطأ، فاعتقد ذلك الإنسان غير زيد وأنت تقصد رده إلى الصواب فتقول "زيدا عرفت" فكأن القائل يجمع إلى نفي الاعتقاد تخصيص الفعل –أي المعرفة– بزيد.

وكما يتقدم المفعول على الفعل فهو يتقدم على الفاعل أيضا، وتكون له دلالة بلاغية تستند عليها غاية الكلام حيث يقدم على الفاعل جوازا ووجوبا عند النحويين.

ومن هذا القبيل أيضا تقديم المفعولات بعضها على بعض، كتقديم "الشركاء" على الجن في قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شَرَكَاءَ الجِنَّ" الأنعام الآية (100)، يقول الفخر الرازي: فإذا قدمت الشركاء أفاد أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن. أما تقديم "الجن" في قولنا "وجعلوا لله الجن شركاء" فهو إخبار بعبادتهم الجن من دون الله، لكنه لا ينبغي وجود معبود آخر من غير الجن: أي كأن كلمة "شركاء" حلت محل الجن وأخذت إعرابها وتقدمت عليها فزحزحتها عن مقامها في المعنى، لأن الإعراب فرع على المعنى فتقديم "شركاء" يدعو إلى استقباح وقوع الفعل منهم أصلا، أيا كان المفعول جنا أم غيره، فلا يصح أن يكون له –سبحانه– شركاء يعبدون من دونه.[1]

ب. تقديم الظرف على الفعل والفاعل:

يتقدم الظرف على الفعل والفاعل سواء أكان للزمان أو المكان، أم كان جارا ومجرورا، فمما تقدم على الفعل وهو للزمان قولهم: "يوم الجمعة سار جعفر" ومما تقدم على الفعل وهو للمكان قولهم: "عندك قام زيد"، ومما تقدم على الفاعل وهو للزمان قولهم: "سار يوم الجمعة جعفر"، ومما تقدم على الفاعل وهو للمكان قولهم: "قام عندك زيد"، كما يتقدم الجار والمجرور على الفعل في قولهم: "في البيت جلس علي" وعلى الفاعل في قولهم: "جلس في البيت علي"، ويرى "الزركشي" أن تقديم الظرف في الإثبات يدل على الاختصاص كما في قوله تعالى: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" الغاشية الآية (25-26) ويعلق على تقديم الظرف في قوله تعالى: "لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

[1] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994، ص: 329، 330.

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" النساء الآية (143)، بقوله: أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثاني، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم.

كما جعل أحد البلاغيين المحدثين قول الشاعر:

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَلْطَمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

من قيل ما تقدم فيه الجار والمجرور "إلى داعي الندى" للضرورة الشعرية التي يستلزماها الوزن والقافية، ولكن المدقق في تقديم الشاعر للظرف هنا يجد أن غايته تتعدى الضرورة الشعرية لتتعلق بأثر نفسي متولد عن قوله: يلطم وجهه" وكأن الشاعر يريد أن يسرع في إقامة هذه المقارنة الأليمة بين الموقفين:

"يلطم الوجه- داعي الندى" ولا شك أن هذا الأثر النفسي هو الأقرب لغرض الشاعر بتقديم الظرف في البيت الشعري، لتحقيق مراد المتكلم.

ج. تقديم الحال على الفعل والفاعل:

يتقدم الحال على الفعل والفاعل للاختصاص أيضا، والتنبيه على هيئة صاحبه كقولنا: "ضاحكا جاء زيد" بتقديمه على الفعل، وقولنا: "جاء ضاحكا زيد" بتقديمه على الفاعل، ويتضح غرض الاختصاص هنا من حيث لو أخر يحصل التردد والاختيار بين جاء زيد راكبا، ماشيا، ضاحكا، وغيره من الأحوال، إلا أن النحاة يرون جواز تقديم الحال على صاحبه المرفوع كقول الشاعر:

فَسَقَى دِيَارُكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبَ الغَمَامِ وَدِيمَةٌ تُهْمَى[1]

والمنصوب كقول آخر: وصلت ولم أصدم مستبين أسرتي.

ويمنعون تقديم الحال على صاحبه المجرور بالإضافة إلى مثل "عرفت قيام هند مسرعة" يقول السيوطي: فلا يقدم مسرعة على "هند" لئلا يفصل بين المضاف والمضاف إليه، ولا على "قيام" الذي هو المضاف، لأن نسبة المضاف إليه من المضاف، كنسبة الصلة من الموصول، فلا يقدم عليه شيء من معمولاته.

د. تقديم الخبر على المبتدأ:

وهو من قبيل ما تناوله البلاغيون ضمن تقديم المسند –وحقه التأخير- على المسند إليه، ويكون التقديم إما لتخصيص المسند بالمسند إليه كقوله تعالى: "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينْ" الكافرون الآية (6)، وقول حسان بن ثابت:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتُهُ الصُغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَهْرِ

[1] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص: 31، 32.

وإن كثيرا من البلاغيين يرون أن الغرض هنا هو التنبيه على أن المسند خبر لا نعت، وكانت فائدته التخصيص كما هو ظاهر وجلي من دلالة البيت.

وإما للتفاؤل كقول الشاعر: عليه من الرحمان ما يستحقه.

وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه كقول الشاعر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَرُ

ويفرق "العلوي" في تناوله لبلاغة تقديم المسند، بين الاختصاص والتخصيص كغرضين من أغراض تقديم المسند، إذ يقول: في نحو قولك: " قائم زيد" في "زيد قائم" فإنك لو أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيدا قائم لا غير من غير تعرض لمعنى من المعاني البليغة بخلاف ما إذا قدمته وقلت: "قائم زيد"، فإنك تفيد بتقديمه أنه متخصص بهذه الصفة من بين سائر صفاته، أو تفيد تخصيصه بالقيام دون غيره من سائر أمثاله، ويضيف إلى هذين الغرضين ثالثا، وهو الرد على المنكر لقيام زيد، فالتقديم ينفي إنكاره، ويؤكد قيام زيد، ومن ذلك قوله تعالى: "أَلَكُمُ الذَكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى" النجم الآية (21)، حيث ينكر الله عليهم أن يخصوا أنفسهم بالبنين ويخصوا الله بالإناث.

وواضح مما سبق أن غرضين اثنين تنتظم في سلكهما بقية الأغراض في تقديم المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية، وهما تخصيص المسند بالمسند إليه، والاهتمام بالمسند مما يستدعي تقديمه لغاية بلاغية.[1]

هـ. تقديم الاستثناء:

يتقدم المستثنى على المستثنى منه كقولنا: "ما قام إلا زيدا أحد" وقولنا: "ما ضربت إلا زيدا أحدا"، أما تقديم المستثنى على الفعل الناصب له فلا يجوز عند النحويين، فغير جائز قولهم: "إلا زيدا قام القوم"، ويعلل ابن جني هذا الامتناع بقوله: لمضارعة الاستثناء البدل، ألا تراك تقول: ما قام أحد إلا زيدا وإلا زيد والمعنى واحد، فلما جارى الاستثناء البدل امتنع تقديمه.

ويحقق تقديم المستثنى على المستثنى منه في الكلام غرضا بلاغيا، يفتقد دونه، وهو إفادة الحصر، ففي قولنا: "ما ضربت إلا زيدا أحدا" بدل قولنا: "ماضربت أحدا إلا زيدا" يفيد أنه لا مضروب للمتكلم سوى زيد.

و. تقديم متعلقات الفعل:

يتعلق بالفعل بعض ألفاظ الجملة، وتسمى متعلقات به أو معمولات له، كالفاعل، والمفعول الأول مع الفعل المتعدي إلى مفعولين، وكذا الضمائر المتعلقة بالفعل والحال والظرف والجار والمجرور وغيرهما، ويكون الغرض من هذا التقديم بيان أهمية المتقدم وأنه أولى في مراد الكلام من غيره، ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ

[1] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية، ص: 32، 33، 34.

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ" الأنعام الآية (51)، حيث قدم المخاطبين على الغائبين لأن الخطاب للفقراء، وقد أخر المخاطبين على الغائبين في قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خِشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ" الإسراء الآية (31)، لأن الخطاب للأغنياء، لذا قال في الأولى "من إملاق" وفي الثانية "خشية إملاق" لأن الخشية إنما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان أهم، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم.

وقد تتقدم متعلقات الفعل لأن في تأخيرها إخلالا بالمعنى المراد، ومن ذلك قوله تعالى: "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ" غافر الآية (28)، فلو تأخر "من آل فرعون" وتقدم "يكتم" لوقع الوهم أن "من" متعلقة ب "يكتم" فلم يفهم حينئذ أن الرجل من آل فرعون.

ومن تقديم المتعلقات أيضا قوله تعالى: "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس الآية (20)، حيث تقدم المجرور لدفع الوهم، لاشتمال سياق الآيات قبلها على سوء معاملة أهل القرية الرسل[1].

ثانيا: التقديم والتأخير في النفي

للتقديم والتأخير في صيغة النفي دلالات بلاغية عميقة، تحمل بين طياتها فروقا دقيقة في استخدامات المتكلم، وإفهام المخاطب وسبيل النفي في الكلام "ما" التي تفيد النفي صراحة لا ضمنا، ويقع التقديم والتأخير بين أجزاء الجملة كالفعل والفاعل، والفعل والمفعول وغيرها.

أ. النفي بين الفعل والفاعل:

قد يتقدم النفي الفعل تارة والفاعل تارة أخرى، وتكون دلالة الكلام في كل ذات دلالة تختلف في الأولى عن الثانية، بحيث يتضح فرق ما بين قول المتكلم: "ما ذهبت"، وقول الآخر: "ما أنا ذهبت"، في أن الأول ينفي عن نفسه فعلا غير ثابت الوقوع، أما الآخر فينفي عن نفسه فعلا ثابت الوقوع، فتقديم الاسم "الفاعل" لا شك مقتض وقوع الفعل وثبوته، ومن ذلك قول المتنبي:

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جَسَدِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا

والمعنى أن السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له ويكون قد جره إلى نفسه.

[1] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص: 34، 35، 36.

ويحدد "عبد القاهر" في الفرق بين الحالتين السابقتين، أمورا يرى أن الشك في هذه الاستعمالات يرتفع بها[1]، وما يدل على الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل أمورا ثلاثة:

الأول أنه يصح حين تقدم الفعل أن يكون النفي عاما نحو: "ما قلت شعرا قط" و" ما أكلت شيئا" و" ما رأيت أحدا من الناس"، ولا يصح ذلك إذا قدمت الفاعل، وكان خلفا وباطلا من القول أن تقول: "ما أنا قلت شعرا قط" و"ما أنا أكلت شيئا" و"ما أنا رأيت أحدا من الناس" لأن ذلك يقتضي المحال، ذلك أن هذا الأسلوب يقتضي أن الفعل ثابت متفق حصوله، وأنه منفى عن المسند إليه المقدم، ومثبت لغيره على الوجه الذي نفى عليه من خصوص أو عموم.[2]

والثاني: أنه لا يصح عند تقديم الاسم أن تقول: "ما أنا قلت هذا ولا قاله غيري" لأنه نفى عن نفسه القول وأثبته لغيره، فعندما تقول: "ولا غيري" يكون نفاه عن غيره، فيأتي التناقض، لأن منطوق العبارة الأخرى يناقض مفهوم الأولى.

وقد أجاز "سعد الدين التفتازاني" أن تقول: "ما أنا قلت هذا ولا غيري" التي رفضها "عبد القاهر"، وذلك إذا قامت قرينة على أن التقديم لغرض آخر غير التخصيص، كما إذا ظن بك المخاطب ظنّين فاسدين: أحدهما أنك قلت هذا القول، والثاني أنك تعتقد أن قائله غيرك، فيقول لك: "أنت قلته لا غيرك"، فتقول له:" ما انا قلته ولا أحد غيري"، قصدا إلى إنكار نفس الفعل فتقدم المسند إليه ليطابق كلامه.

والثالث: انه يصح أن تقول: "ما ضربت إلا زيدا" بتقديم الفعل، لأنك تنفي عن نفسك "ضرب غير زيد" وتثبت لها ضرب زيد، ولا يشعر كلامك بأن غيرك ضرب أو لم يضرب.

ولا يصح أن تقول: "ما أنا ضربت إلا زيدا" لأن نقض النفي ب"إلا" يقتضي أن تكون ضربت زيدا، وتقديمك ضميرك وحرف النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته فهما يتدافعان، ولأن تقديم الاسم يفيد أن الفعل ثابت وأنه منفى عن المقدم ومثبت لغيره على حسب النفي عموما وخصوصا.[3]

ب. النفي بين الفعل والمفعول:

---

[1] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ، ص: 37.

[2] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1997، ص: 62.

[3] نفسه ، ص 63.

قد يتقدم النفي الفعل تارة و المفعول تارة أخرى، أو بمعنى آخر قد يتصدر النفي الجملة ويليها أحد ركنيها أو أحد متعلقاتها، فيكون للكلام معنى يختلف من بنية تعبيرية لأخرى، فحين يقول القائل مثلا: "ما قلت هذا الكلام" يكون المعنى هو نفي الكلام إلى المتكلم، لكنه لم ينف أن الكلام قد قيل، أو قاله غيره.

وإذا جاءت أداة النفي أولا ويليها المسند إليه المخبر عنه بفعل رافع لضميره كأن يقول القائل "ما أنا قلت هذا الكلام" كان المعنى حينئذ مختلفا عن السابق، فالكلام هنا قد قيل بالفعل لكن المتكلم ينفيه عن نفسه.[1]

ومن نماذج هذا التقديم المسبوق بالنفي قول المتنبي:

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جَسَدِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارَا

فبناء العبارة في صدر البيت يفيد وجود السقم بجسمه، لكنه ينفي أن يكون هو السبب فيه أو الجالب له، وكذلك المعنى في الشطر الثاني.[2]

ج. النفي المتقدم لصيغة العموم:

تناول البلاغيون كذلك ما يطلقون عليه نفي العموم، وهو أن يأتي النفي بصحبة لفظ دال على العموم مثل: "كل"، "جميع" بوجودهما في جملة واحدة فقد تتقدم أداة النفي ويأتي لفظ العموم بعدها، كما في قول الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فالمعنى أن الإنسان لا يدرك كل الأماني، بل بعضها، ويمتنع عليه تحقيق بعضها الآخر.

ومن نماذج ذلك قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع ذو اليدين حين صلى عليه السلام ركعتين فقط ثم سلم، فسأله ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: "كل ذلك لم يكن" أي لم يكن واحد منهما، لا القصر ولا النسيان، فنفى الرسول عليه السلام بإجابته السببين معا.[3]

ثالثا: التقديم والتأخير في الاستفهام:

يفرق البلاغيون في درس التقديم والتأخير في الاستفهام بين ما كان التركيب فيه جاريا على الاستفهام الحقيقي، وما كان جاريا على الاستفهام التقريري، وما كان الاستفهام فيه إنكاريا، ولكل دلالته البلاغية وغايته التي تحقق مغزى الكلام.

---

[1] شفيع السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب، الطبعة الأولى، 2006، ص: 215.

[2] نفسه، ص: 216.

[3] ينظر: حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية، علم المعاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2004، ص: 167.

أ. التقديم والتأخير في الاستفهام الحقيقي:

الحديث عن الاستفهام يختص بأداة واحدة من أدواته وهي "الهمزة" وذلك لأنها تتميز من بين الأدوات الأخرى بدخولها على الأسماء والأفعال فإن كان الشك في حدوث أمر ما وجب أن يلي الهمزة الفعل الدال عليه، ويرى عبد القاهر وجمهور علماء البلاغة أن الذي يلي همزة الاستفهام هو المشكوك فيه، مثل قولك: "أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟".فهنا وقع التردد في الفعل، والمطلوب معرفة ثبوته للفاعل أو نفيه عنه، وتكون الهمزة للتصور إذا كانت النسبة معلومة والمطلوب تصور الفعل المسند كقولك: "أأكرمت محمدا أم أهنته؟" "اشتريت هذا الكتاب أم استعرته؟" ففي هذين المثالين لا تقصد النسبة لأنك تعلم أن أحد الأمرين حاصل إنما تريد بسؤالك تعيين الحاصل منهما لأنك تعلمه.

ويترتب على دخول الاستفهام على اسم أنه ليس من الصواب أن تقول: "أأنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه" لان معنى الجملة أن الفعل قد وقع وأن السائل إنما يشك فيمن قام به ويود معرفته، وهذا ليس صحيحا، وهو ما لم يجزه "عبد القاهر الجرجاني" لأنها تنطوي على تناقض وخروج عن كلام الناس، حتى وإن أجازها "النحاة".[1]

ب. التقديم والتأخير في الاستفهام التقريري:

والتقرير أحد المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها، وهو أن المتكلم عالم لكنه يريد حمل المخاطب على الإقرار كغرض كأن يكون السامع منكرا لوقوع الفعل من المخاطب، و"عبد القاهر" يرى بأن التقرير كالاستفهام يجب أن يلي المقرر به الهمزة مثل قولك: "أفعلت هذا؟" فقد جاءت صيغة الاستفهام بتقديم الفعل لأن الاستفهام بهذه الصيغة يعني أنه يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكلامه كلام من يوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة.[2]

وإذا قدمت الفاعل فقلت: "أأنت فعلت هذا؟" كان غرضك أن تقرر المخاطب بأنه الفاعل، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن قول النمرود لإبراهيم عليه السلام "أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟" الأنبياء الآية (62)، فتحطيم الأصنام كائن بالفعل، لذا لا يتجه الاستفهام إليه، وإنما يتجه إلى فاعله، وقد كانت إجابة إبراهيم دالة على ذلك إذ قال: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا" الأنبياء الآية (63)، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب "فعلت" أو "لم أفعل"، فدل هذا على أن المطلوب التقرير بالفاعل لا بالفعل.[3]

ج. التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري:

---

[1] ينظر: عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص: 44، 45، 46.

[2] نفسه، ص: 48.

[3] شفيع السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ص: 211.

الإنكار أحد المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها، وهو إما تكذيبي أو توبيخي، وعلماء البلاغة يرون أن الاستفهام الإنكاري كالاستفهام الحقيقي والتقريري يجب أن يلي فيه المنكر الهمزة سواء أكان فعلا أم اسما أم غير ذلك[1]، ويحقق التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري غرض كشف أمر المتكلم فيما يدعيه، فإذا تقدم الفعل في أمر محال فهو إنكار لوقوعه كقولك: "أتصعد إلى السماء؟"، وإذا تقدم الاسم فهو إنكار لقدرة الفاعل على القيام بمثل هذا الفعل المحال كقولك: "أأنت تصعد إلى السماء؟".

ومن النماذج القرآنية قوله تعالى: "أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُمَّ أَوْ تَهْدِي العُمْيَ؟" الزخرف الآية (04)، فنزل من يظن بالصم سماعا وبالعمي هداية منزلة من يرى أنه يستطيع إسماع الصم وهداية العمي، والمعنى: أأنت خصوصا قد أوتيت أن تسمع الصم.[2]

ويبين الإمام "عبد القاهر" الغرض من الاستفهام الإنكاري عند تقديم الاسم أو الفعل، بقوله: "هو أن ينتبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويحيا بالجواب، إما أنه ادعى القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه قيل له "فافعل" فيفضحه ذلك، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ..."[3]، فالجرجاني يوضح لنا الغرض الجلي من الاستفهام الإنكاري وهو التكذيب والتوبيخ.

رابعا: تقديم النكرة و"مثل–غير" على الخبر:

أ. **تقديم النكرة**: إن علماء النحو لا يجيزون الابتداء بالنكرة "ما لم تفد" أي تتقدم بشروط فإذا قلت "رجل جاءني" لا يصح نحويا، والأصل أن تقول "جاءني رجل"، لأن تقديم النكرة في الكلام يفيد التنبيه عليها، لا التنبيه على الفعل الملاصق لها، وبهذا فقد نبهت السامع إلى أن الذي جاء من جنس الرجال لا النساء، كذلك إذا قدمت "رجلا" عند الاستفهام فقلت: "أرجل جاءك؟" فأنت هنا تريد السؤال عن جنس من جاء أيضا، ويقترب ذلك أيضا من القصر والاستثناء عند تأخير النكرة حين يقول القائل: "ما أتاني إلا رجل" فهنا قصر الإتيان على الرجل لدفع توهم السامع أن الآتي امرأة.[4]

ب. **تقديم "مثل–غير"**: يعد تقديم "مثل–غير" من أدق غايات التقديم والتأخير حيث يقدمان في الكلام ويكون في تقديمهما من البلاغة ما ينعدم إذا أخرا، ويقول "عبد القاهر": "فأنت إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين

---

[1] عبد العاطي غريب علام، دراسات البلاغة العربية، ص: 51.

[2] حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية، علم المعاني، ص: 164.

[3] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص: 51.

[4] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة الأسلوبية، ص: 43.

يقدمان أبدا على الفعل إذا نحي بهما هذا النحو... وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما"[1]، فبلاغة وجمالية "مثل-غير" تكمن في تقديمهما لا تأخيرهما، ومن ذلك قول المتنبي:

مثلك يثني الحزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غيره

فهو يريد أن يبين أن صفات سيف الدولة ومكانته بها يستطيع أن يثني الحزن ويتغلب عليه.

وقول المتنبي أيضا يمدح سيف الدولة:

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا وَإِنْ حَدَثُوا شَجَعُوا

فهو ينفي عن نفسه انخداعه بما تكون عليه الكثرة من الناس بأن يظن فيهم ظنا حسنا وأن أفعالهم تطابق أقوالهم، مع أنهم ليسوا كذلك في الواقع، فهم جبناء في القتال شجعان في الحديث فهي شجاعة قول لا شجاعة فعل.

وهكذا فلكلمتي "مثل-غير" خصوصية في الاستخدام في أسلوب التقديم وذلك أنه يكاد يكون من المطرد تقديم كل منهما في الكلام.

وخلاصة القول في طرائق التقديم والتأخير أنها تصريحا وإيضاحا لقيمة الفروق في التعبير، التي تعد ثمرة دراسات جادة في الجملة العربية التي شغلت علماء البلاغة، وعلى رأسهم "عبد القاهر الجرجاني" باعتبارها مسألة من المسائل المتصلة بالأساليب الذي يكون لكل تعبير معناه، ولكل وضع هدفه ومغزاه، وفي ذلك كله اتساع في القول وقدرة على التعبير.[2]

المبحث الثاني: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لابد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر، لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار فلا بد لتقديم هذا على ذاك من دواع توجيه.

المطلب الأول: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير

قبل الشروع في بيان هذه الدواعي ينبغي الإشارة إلى أن ما يدعو بلاغيا إلى تقديم جزء من الكلام هو ذاته ما يدعو بلاغيا إلى تأخير الجزء الآخر, و إذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون هناك مبرر لاختصاص كل من المسند و المسند إليه بدواع خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر لأنهما متلازمان.

---

(1) مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة الأسلوبية ، ص: 44.

(2) ينظر: شفيع السيد، النظم والبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ص: 222.

و أهم الدواعي و الأغراض البلاغية التي توجب التقديم و التأخير في الكلام هي:

1. **التشويق** إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة نحو قول الشاعر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُحَى وَ أَبُو إِسْحَاقَ وَ القَمَرُ[1]

فهنا قدم المسند إليه و هو ثلاثة واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر و هي تشرق الدنيا ببهجتها فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تتألف و تضيء، فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر.

و مثاله قول أبي العلاء المعري:

وَالذِي حَارَتِ البَرِيَّةُ فِـــيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ[2]

فالمسند إليه الاسم الموصول و هو الذي، و الجملة التي بعده حارت البرية فيه صلة له و الموصول و صلته متلازمان، كأنهما شيء واحد، و المخاطب هنا تشوق نفسه لمعرفة الخبر–المسند–ذلك لأن في المسند إليه غرابة، ما الذي حارت البرية فيه يا ترى؟ فيجيء الخبر متأخرا حيوان مستحدث من جماد.

و الذي يعنيه أبو العلاء بالبعث الجسماني: يوم يخرج الناس من أجداثهم، فالناس قد تحيروا في البعث الذي هو إعادة الناس بعد أن كانوا تراب.

و أبسط مثال لتوضيح غرض التشويق قولك: "أعدى أعدائك" فإنك تجعل السامع تواقا لمعرفة هذا العدو، فإذا قلت:"نفسك التي بين جنبيك" فإنك تذهب صداه و تبلّ ضمأه.[3]

إذن لتقديم المسند إليه على المسند فائدة و هي فائدة التشويق، و لهذا فحق التشويق التقديم.

2. **التخصيص**: و هذا يعني أن المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي يشترط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو قولك:"ما أنا قلت هذا" فهذا التقديم يفيد أن القول ثابت و لابد أن أحدا قال هذا القول، و أنت تنفيه عن نفسك و تثبته لغيرك، فلا يأتي هذا التقديم إلا في شيء ثبت أنه قبل، و أنت تريد نفي كونك قائلا له.

و منه قول الشاعر:

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جَسَدِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارَا[4]

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 126، 127.

[2] فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص: 218.

[3] نفسه، ص: 219.

[4] عبد القادر حسين، فن البلاغة ، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2006، ص: 97.

فالسقم موجود و الضرم ثابت، و لكن الشاعر ينفي أن يكون هو الجالب لهما، و الشاعر لا يقصد نفي الفعل، فالفعل ثابت و لكنه يقصد نفي أن يكون هو الفاعل، و لهذا لا يصح أن يقول:"ما أنا قلت هذا و لا غبري" لمناقضة اللفظ الثاني لمفهوم الأول لأن القول ثابت و قد نفاه عن نفسه و أثبته لغيره، فعندما يقول:"و لا غيري" فقد نفاه عن غيره، مع أنه قد أثبته له في الجملة السابقة.

و من أمثلته أيضا قوله تعالى:"اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ" الزمر الآية (23). فالله وحده هو القادر هنا دون غيره.

و قوله تعالى:"فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبُّ السَمَاوَاتِ وَ رَبُّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينْ" الجاثية الآية (35).

فتقديم المسند قصد منه التخصيص، فإذا قلت لله الحمد, فمعنى هذا أنه الله وحده، لا لأحد غيره.

و من أمثلة التقديم لغرض التخصيص: تقديم المفعول على الفعل كقولك:"محمدا أكرمت" و الأصل "أكرمت محمدا"، فقولك بالتقديم "محمدا أكرمت" تخصيصا لمحمد بالكرم دون غيره، وذلك بخلاف قولك أكرمت محمدا لأنك إذا قدمت الفعل قمت بالخيار في إيقاع الكرم على أي مفعول شئت، بأن تقول أكرمت خالدا أو عليا أو غيرهما، فتقديم المفعول على الفعل هنا قصد به اختصاصه به، أي اختصاص محمد دون غيره بالإكرام.

و كذلك تقديم الحال على الفعل كقولك:"مبكرا خرجت إلى عملي" تخصيصا لحالة التبكير بالخروج دون غيرها من الحالات، و ذلك بخلاف قولك:"خرجت على عملي مبكرا" لأنك في تقديمك الفعل تكون بالخيار في إيقاعه مقيدا بأي حالة شئت بأن تقول: خرجت إلى عملي متأخرا أو مسرعا أو مسرورا أو غير ذلك.[1]

3. **التعميم**: و يكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم، و أداة تدل على النفي، و تقدمت أداة العموم على أداة النفي، فإذا أردت التعميم قدمت المسند إليه فقلت:"كل الناجحين لم يأخذوا جوائزهم"،"كل أصحاب الأموال لم يبذلوا ما فيه الكفاية"،"من يظلم الناس لا يفلح".

فأنت هنا تثبت الحكم لجميع الأفراد، دون أن تستثني فردا واحدا و يسمى هذا عموم السلب أو سلب العموم. و مثاله قول المتنبي:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُفُنُ[2]

فالمعنى هنا أن الإنسان لا يدرك كل أمانيه، و إنما هو يدرك بعضها و يفوته بعضها الآخر.

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 141، 142.

[2] فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص: 224.

و من أمثلته أيضا أبي فراس الحمداني:

مَا كُلُّ مَا فَوْقَ البَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا قَنَعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافٍ[1]

و قول عمارة اليمني:

مَا كُلُّ قَوْلِي مَشْرُوحًا لَكُمْ فَخُذُوا مَا تَعْرِفُونَ وَ مَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا[2]

4. **تقوية الحكم و تقريره:** و ذلك كقولك عن شخص كريم:"هو يعطي الجزيل" فأنت لا تريد أن غيره لا يعطب الجزيل، و لا أن تعرض بإنسان آخر يعطي القليل، و لكن تريد أن تقرر في ذهن السامع و تحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل. فتقيم المسند إليه في المثال لغرض تقوية الحكم، و سر التقوية أن في مثل هذا التركيب تكرارا للإسناد من حيث إن الفعل و هو:"يعطي" في المثال الأول أسند مرتين، أسند أولا إلى الضمير المستتر فيه، العائد على محمد, ثم أسند إلى الاسم الظاهر، فهو بمثابة قولك : يعطي محمد الجزيل يعطي محمد الجزيل. و بتكرار الإسناد يتقوى الحكم و يتقرر في ذهن السامع.[3]

و سبب التقوية على ما ذكره عبد القاهر الجرجاني هو أن الاسم لا يأتى به مجردا من العوامل إلا لحديث قد نوي إسناده إليه فإذا قلت:"عبد الله" فقد أشعرت السامع بذلك أنك تريد الحديث عنه، فهذا توطئة له و تقدمة للإعلام به، فإذا جئت بالحديث فقلت:"قام" مثلا دخل على القلب دخول المأنوس به، و جملة الأمر أنه ليس إعلامك بالشيء بغتة مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد و الإحكام.

و من خلال ذلك يتضح الفرق من حيث تقوية الحكم و تقريره بين "هو يعطي الجزيل" و "يعطي الجزيل".

و من هذا القبيل قوله تعالى:" وَ الذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونْ" المؤمنون–الآية (59), فهذا أبلغ في تأكيد نفي الإشراك مما لو قيل: و الذين بربهم لا يشركون أو لا يشركون بربهم.

و منه كذلك قول أبي فراس الحمداني مخاطبا سيف الدولة:

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ وَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قُرْبُ النَّسَبِ[4]

فالبيت يشتمل على جملتين تقدم المسند إليه في الأولى و تأخر في الثانية, و ليس من سبب لذلك في الحالتين إلا تقرير الحكم الذي تضمنته كلتا الجملتين و تقويته.

---

(1) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 138.

(2) نفسه، ص: 138.

(3) ينظر: أمين أبو ليل، علوم البلاغة، ص: 41.

(4) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 139.

5. كون المتقدم محط الإنكار و التعجب: نحو قوله تعالى:"أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ" مريم-الآية(46)، فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: أراغب أنت و لم يقل أأنت راغب و ذلك لأهمية المتقدم و شدة العناية به، و في ذلك ضرب من التعجب و الإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته و أن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها.

و من أمثلته شعرا قول أبي فراس الحمداني:

أَمِثْلِي تَقْبَلُ الأَقْوَالُ فِيهِ؟ وَ مِثْلُكَ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ كَذِبُ؟[1]

و قول شاعر آخر:

قَدْ جَرَّبُوهُ فَـــمَا زَادَتْ تَجَـــارُبُهُمْ أَبَعْدَ طُولِ التَجْرُبَةِ تَنْخَدِعُ بِهَذِهِ الزَّخَارِفْ[2]

هذا محل الإنكار و التعجب، لأنه بعد طول التجربة يجب أن يكون الإنسان حذرا منتبها يقظا، فلا يكون منخدعا، و مثل قول الموفق رحمه الله:

أَبَعْدَ بَيَاضِ النَّسْبِ أَعْمُرُ مَسْكَنًا سِوَى القَبْرِ، إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ لَأَحْمَقُ

يُخْبِـــرُنِي شَيْبِي بِأَنَّـــنِي مَيْـتٌ وَشِيكًا وَ يَنْعَانِي إِلَيَّ فَيَصْدُقُ[3]

محل الإنكار و التعجب ورد في قوله: أبعد بياض الشيب أعمر مسكنا سوى القبر.

6. الاهتمام بالمتقدم: و تفسير هذا أن التقدم دليل على أن المتقدم هو الغرض المقصود بالذكر، و أن الكلام قد سيق لأجله.

و أوضح مثال يبين أثر التقدم في المعنى و مدى الأهمية التي يعطيها للتعبير قوله تعالى في سورة النمل حين قدم اسم الإشارة فقال:"لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينْ" النمل الآية (68)

و في آية أخرى يؤخر اسم الإشارة كما في سورة المؤمنون "لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينْ" المؤمنون الآية(68) فقدم نحن و آباؤنا على هذا. فإذا قدم اسم الإشارة الذي يريد به البعث كان ذلك دليل على أهمية البعث، و أن الكلام قد سيق لأجله، أما الآية الثانية حين أخر اسم الإشارة و قدم نحن و آباؤنا كان دليلا على أهمية المبعوثين، و هم القصد من الحديث و ليس البعث.[4]

و من أمثلة الاهتمام بالمتقدم قول الشاعر:

سَلاَمُ اللهِ يَا مَطَرُ عَلَيْهَا وَ لَيْسَ عَلَيْكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ[5]

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 137.

[2] حنفي ناصف، سلطان محمد، شروح دروس البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ، 2012، ص: 61.

[3] نفسه، ص: 61.

[4] ينظر، عبد القادر حسين، فن البلاغة، ص: 99.

[5] عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1421هـ، 2001، ص: 204.

فقدم المسند "سلام" على المسند إليه "يا مطر" لأن السلام أهم و أولى عند الشاعر من المطر.

7. **التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت:** و ذلك خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه، نحو قوله تعالى:"وَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينْ" البقرة الآية (36). فالشاهد هنا هو في قوله:"و لكم مستقر" فلو قال "و مستقر لكم" لتوهم ابتداء أن "لكم" نعت و أن خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، و ذلك لأن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر، و لذلك تعين تقديم المسند للتنبيه على أنه خبر لا نعت.

و من أمثلته أيضا قوله تعالى:"وَ لَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ" البقرة الآية (197). و الخبر أقوى من الصفة في دلالته، لأن الخبر ركن في الجملة و ليس الصفة كذلك، فإذا جعلنا الشيء خبرا فهو أدل على شأنه، أكثر من كونه صفة من الصفات.

و من أمثلته شعرا قول المتنبي:

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الجَانِي أَنَاةٌ تَظُنُّ كَرَامَةً وَ هِيَّ احْتِقَارُ

و قول حسان بن ثابت في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَ هِمَّتُهُ الصُغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

لَهُ رَاحَةٌ لَوَ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا عَلَى البُرِّ كَانَ البِرُّ أَنْدَى مِنَ البَحْرِ[1]

فمِمَّا لا شك فيه أن الشاعر يحرص عادة على أن يبلغ المعنى إلى الملتقى كاملا، و أن يزيل أي إبهام قد ينقص شيئا منه. لذا رأى الشاعر هنا أن إجراء الكلام على صورته الأصلية "همم له" قد يوهم المتلقي بأن الجار و المجرور نعت للمبتدأ النكرة، و أن الخبر سيذكر فيما بعد "لأن الظرف بتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر لأمرين يتعاضدان في ذلك. استدعاء المنكر في مقام الابتداء أن يوصف، ليتقوى بذلك فائدة الحكم... و صلاحية الظرف أن يكون من صفاته".[2]

8. **إفادة قصر المسند إليه على المسند:** نحو قوله تعالى:"لكم دينكم و لي دين" الكافرون الآية 6. فلما كان سياق الآية يدور حول عصيان جماعة من الكفار للاستجابة إلى دعوة التوحيد، و أنهم قد طالبوا الرسول صلى الله عليه و سلم أن يعبد آلهتهم سنة و يعبدوا إلهه سنة, فإن الحال يقتضي أن ينفي الرسول الكريم عن نفسه عبادة أصنامهم نفيا قاطعا، و يؤكد في الوقت نفسه ابتعادهم عن دعوة الحق، لذا وقع التقديم في الصياغة ليؤدي هذه الوظيفة الدلالية،

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 140، 141.

[2] عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، جماليات التقديم والتأخير نموذجا، مقاربة أسلوبية، مجلة النص، العدد الثامن، 2008، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة جيجل، منشورات جامعة جيجل، الجزائر، ص: 137.

فتقد المسند الجار و المجرور "لكم" على المسند إليه "دينكم" أفاد معنى أن شرككم مقصور عليكم، و توحيدي مقصور علي.[1]

ومثاله قوله تعالى في خمر أهل الجنة:"لا فيها غول" فالغول مقصور على اتصافه بعدم حصوله في خمر الجنة، و لكنه يوجد في خمور الدنيا، فتقديم المسند "فيها" يقتضى تفضيل المنفي عنه و هو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا، أي ليس فيها ما في غيرها من الغول الذي يغتال العقول و يسبب دوار الرأس و ثقل الأعضاء.

9. **تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير**: لأن السامع إذا قرع سمعه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور فرح به نحو : العفو صدر به الأمر، سعد في دارك، فرح سيزورك.

أما تعجيل المساءة ليتطير السامع و يبادر إلى ذهنه حصول الشر أول الأمر نحو: القصاص أمر محتوم في هذه القضية، حرب في الطريق إليك.[2]

تقدم المسند إليه في هذه الأمثلة ليحدث ذلك في نفس الملتقى انطباعا يناسب طبيعة الاسم الذي يفتتح به الكلام.

و من أمثلة المساءة قول المتنبي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الحِرَانُ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ يَدُ[3]

10. **التعجيل بإظهار تعظيمه أو تحقيره**: حين يوحي اللفظ بالتعظيم أو التحقير و يوحي اللفظ بذلك:

- إما بذاته، كقولك: أبو الخير زارنا، أبو الموت غادرنا.
- و إما بإضافة، كقولك: حفيد الملك عندنا، وابن الجلاد مرّ بنا.
- و إما بوصف، كقولك: تلميذ بليد نقل إلينا، رجل كريم زارنا.

تقدم المسند إليه في هذه الأمثلة جميعا للتعجيل بإظهار تعظيمه أو تحقيره لأن اللفظ يوحي بالتعظيم أو التحقير.

11. **تعجيل التبرك به**: كقولك: الله غايتنا، محمد نبينا، مكة المكرمة عاصمة ديار الإسلام.[4]

تلك هي الأغراض و الدواعي البلاغية التي تقتضي التقديم و التأخير بين المسند و المسند إليه.

---

[1] عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، جماليات التقديم والتأخير نموذجا، مقاربة أسلوبية ، ص: 136.

[2] أمين أبو ليل، علوم البلاغة، ص: 39.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، 1422هـ، 2002، ص: 136.

[4] عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغة، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الجامعة المفتوحة، د.ط، 1993، ص: 137.

و هناك نوع آخر من التقديم و التأخير لا يرجع إلى تقديم أحد ركني الإسناد على الآخر، و إنما هو مخصص بدرجة التقديم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، و هذا النوع من التقديم مما لا يحصره حد و لا ينتهي إليه، و هو يتمثل في صور شتى منها:

1. **تقديم السبب على المسبب**: و من أمثلته قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينْ" الفاتحة الآية (5). فهنا قدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب، و أسرع لوقوع الحاجة.

و لو قال:"إياك نستعين و إياك نعبد" لكان جائزا، إلا أنه لا يسد ذلك المسد، و لو يقع ذلك الموقع.

وعلى نحو منه قوله تعالى:"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا، لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَ نَسْقِيَهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا" الفرقان الآية (48-49). فقدم حياة الأرض و اسقاء الأنعام على اسقاء الناس و إن كانوا أشرف محلا، لأن حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام و الناس،[1] فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر على الناس لأن حياة الناس بحياة أرضهم و أنعامهم, فقدم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم.

2. **تقديم الأكثر على الأقل**: كقوله تعالى:"ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِّينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ" فاطر الآية (32).

و إنما قدم الظالم لنفسه للإيذان بكثرته و أن معظم الخلق عليه، ثم أتى بعده بالمقتصدين، لأنهم قليل بالإضافة إليه، ثم أتى بالسابقين و هم أقل من القليل، أي من المقتصدين.[2] و هكذا قدم الأكثر و بعده الأوسط ثم ذكر الأقل أخيرا، و لو عكست القضية لكان المعنى واقعا في موقعه لأنه يكون قد روعي فيه تقديم الأفضل فالأفضل.

و مما سبق نستخلص أن مبحث التقديم و التأخير يؤدي جمالية مهمة تتولد من سياقاته المختلفة التي تتحكم فيها عدة اعتبارات منها ما يرتبط بالمتكلم، و منها ما يرتبط بالمتلقي و أخرى تتصل بطبيعة الصياغة ذاتها، فهذه العناصر مجتمعة تقتضي نضما معيّنا للمفردات يتواصل و يتقارب مع حاجتها و مستوياتها المختلفة.

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 142.

[2] نفسه، ص: 144.

المطلب الثاني: أضرب التقديم والتأخير

من الأبواب التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني في تطبيق فكرة النظم: التقديم والتأخير، ويرى أن صورة التقديم والتأخير تكون لفائدة تحقيق المعاني في كل حال، لأنه من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره إلى قسمين: فيكون مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في البعض الآخر، وعن أهمية التقديم يقول "عبد القاهر الجرجاني": "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[1]، فالجرجاني بين لنا أن التقديم فيه فوائد جمة يقود إلى معاني جديدة تتقبلها النفس وترتاح إليها لا لسبب سوى أنها حول فيها اللفظ من مكان لآخر.

وقد أدرك "عبد القاهر" تلك الوظيفة التي يؤديها التقديم والتأخير في الكلام، وأن هذا التقديم والتأخير إنما يأتي بصيغتين: إحداهما ما أطلق عليه التقديم على نية التأخير والثانية التقديم لا على نية التأخير، وسنحاول أن نتعرض لكل واحد منهما على حدة.

أ. التقديم على نية التأخير:

وهو أن يقدم الاسم ويبقى على حكمه الذي كان عليه من قبل أن يتقدم، فيبقى الخبر مرفوعا مع تقدمه، كما يبقى المفعول منصوبا مع تقدمه أيضا، مثل قولك: "أخي مسافر" فإذا قدمت الخبر "مسافر" وقلت "مسافر أخي"، لم تتغير صفته النحوية، بل يبقى خبرا مرفوعا كما كان من قبل، كذلك المفعول به يأتي بعد الفاعل، فقولك: "قرأ الرجل الكتاب" فالكتاب مفعول به منصوب، وقواعد النحو تقرر موقعه بعد الفاعل، فإذا قدمته عليه وقلت: "قرأ الكتاب الرجل" لم يغير التقديم صفته التي كانت له وهي المفعولية، وإنما يبقى مفعولا به منصوب.[2]

ويمثل "عبد القاهر" لذلك بقوله: "منطلق زيد" و"ضرب عمرا زيد" ومعلوم أن "منطلق" و"عمرا" لم يخرجا بالتقديم عما كان عليه من كون "منطلق" بقى خبر المبتدأ وهو مرفوع بذلك، وكون "عمرا" بقي مفعولا به منصوب كما كان قبل التقديم.[3]

وفي هذا الضرب من التقديم يقول الجرجاني: "إنه في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول به إذا قدمته على الفاعل كقولك: "منطلق زيد"

---

(1) عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص: 37.

(2) ينظر: شفيع السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ص: 201.

(3) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994، ص: 274.

و"ضرب عمرو زيد" معلوم أن "منطلق وعمرا" لم يخرجا بالتقديم عما كان عليه من كون هذا خبر المبتدأ مرفوعا بذلك وكون الآخر مفعولا به منصوب من أجله كما يكون إذا أخرت"،[1] فالجرجاني يوضح لنا أن المبتدأ والمفعول به لم يخرجا –إذا قدما– عن هيئتهما قبل تقديمهما وعن حكمهما الإعرابي.

وعلى هذا النحو سار الخليل عندما تحدث عن مسألة التقديم على نية التأخير، فالتقديم عنده يبقى على حكمه الذي كان عليه قبل أن يقدم فتقديم الخبر في "زيد قائم" يظل خبرا إذا قلنا "قائم زيد"، وتقديم المفعول به في "ضرب عمرو زيدا" يبقى على حاله مفعولا به إذا قلنا "ضرب زيدا عمرو"، وهذا هو الشرط الحسن للتقديم عند الخليل، وبدون مراعاة هذا الشرط يصبح الكلام قبيحا، لأنه إما يؤدي إلى كبس كما في تقدم المفعول به حين يصبح فاعلا، أو يؤدي إلى المحال كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة.

فالخليل حين عرض التقديم والتأخير في الكلام، رأى أن بعضه حسنا وبعضه الآخر قبيحا، لكنه لم يبين لنا السر البلاغي في التقديم إذ ما اكتفى بضرب الأمثلة على هذا النوع، وأعقب عليه بأنه عربي جيد.[2]

ب. التقديم لا على نية التأخير:

وهو الجانب الثاني من أضرب التقديم، وهو أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم آخر، وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، ويمثل "عبد القاهر" لذلك بقوله "ضربت زيدا" و"زيد ضربته"، فلم يتقدم "زيد" على أن يكون منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن يكون مرفوعا بالابتداء وأن يشغل الفعل بضميره، ويكون في موضع الخبر له.[3]

ويستمر "عبد القاهر الجرجاني" مؤكدا عملية العدول في تقديم المفعول به، في مثل "ضربت زيدا وزيد ضربته" حيث لم يتقدم زيدا على أن يكون مفعولا به منصوب بالفعل كما كان، ولكن على أساس رفعه بالابتداء مع شغل الفعل بضميره وجعله في موضع الخبر.[4]

فالجرجاني لم ينظر إلى تغير الإعراب فحسب، وإنما نظر إلى اختلاف المعنى باختلاف صورة التركيب، وما ذهب إلى "عبد القاهر" هو الصواب ذلك باختلاف المعنى باختلاف التركيب وهذا يفيده النظم، وذلك في مثل قوله "المنطلق زيد" الشخص الذي له الصفة هو صاحب الاسم، فالصفة تجعل دالة على الذات ومسندا إليها، واسم

---

[1] عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص: 60.

[2] ينظر: نفسه، ص: 59.

[3] مختار عطية، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة بلاغية ، ص : 115 .

[4] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص: 274.

الذات يجعل دالا على أمر نسبي ومسندا، والمعنى أن الذات التي تثبت لها الانطلاق هي الذات المشخصة المسماة بزيد.

ومن هذا المنطلق يرى أن من الخطأ تقسيم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في البعض الآخر، وليس لهذه التفرقة بين هذين الضربين من التقديم أثر في اختصاص أحدهما بدلالة بلاغية دون الآخر، فأي دلالة من الدلالات البلاغية التي تعرض لها ترتبط بمجيء اللفظ مقدما في الجملة بغض النظر عن بقائه على صفته النحوية التي كانت له قبل التقديم أو تغيرها واكتسابه صفة جديدة.[1]

المطلب الثالث: أهمية التقديم والتأخير

إن الجملة العربية لا تتميز بحتمية في ترتيب أجزائها، وبالرغم من ذلك ترك لنا النحو رتبا تحفظ بها هذه الأجزاء، والعدول عن هذه الرتب يمثل نوعا من الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية ومن هنا وجه البلاغيون اهتماما خاصا لهذا المبحث ورصدوا كثيرا من التعبيرات التي توفرت فيها هذه الظاهرة وما يمكن أن تفيد منه الدلالة، أو بمعنى أصح ما يمكن أن تتغير به الدلالة تغيرا يوجب لها المزرية والفضيلة، ذلك أن التركيب إذا كان بينا واضحا لا يحتمل إلا الوجه الذي هو عليه، حتى لا يشكل فلا مزية فيه، إنما تكون المزية ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه، ورأيت في ذلك حسنا وقبولا في التعبير الجمالي والإبداعي للتركيب الذي يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية متميزة.[2]

ويعد الجرجاني واحدا من أهم علماء البلاغة الذي أولى اهتماما بالغا بباب التقديم والتأخير وإبراز أهميته يقول في ذلك: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان"[3]، فالتقديم عنده يكون للعناية والاهتمام بالمقدم وإبراز الأهمية التي يعطيها للتعبير، فتقديم المسند على المسند إليه يكون لإفادة الاختصاص تارة وللاهتمام بالمتقدم تارة أخرى، إذ ينص صاحب "مختصر شروح التلخيص" على أن تقديم المسند يكون الغرض منه تخصيصه بالمسند إليه ومن ذلك قوله تعالى: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" الغاشية الآية (26)، فهنا تقدم المسند للاختصاص، أي إن إيابهم لا يكون إلا لله تعالى

---

[1] ينظر: عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص: 38.

[2] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص: 329.

[3] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص: 37.

وإن حسابهم لا يكون إلا عليه، وقد يتقدم للاهتمام به كما في قوله تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ" الحجرات الآية (07)، حيث تقدم المسند للاهتمام به، وهو توبيخ للقوم على ما صدر منهم ورسول الله بينهم لذلك قدم الخبر لأنه مناط التوبيخ ومحل الزجر.

وقد يكون بقاء التقديم –لها رتبة التقديم أصلا– أحسن وأبلغ في إيصال المعنى دون المساس برتب الألفاظ في الجملة، فالمسند إليه مثلا رتبته التقديم وقد يكون الإبقاء على تقديمه في بعض الأحيان أولى من تأخيره تبعا لدواعي المقام، ومن ذلك قول الشاعر:

ثَلاَثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَرُ

حيث قدم المسند إليه وهو ثلاثة لما في ذلك من تشويق النفس إلى الخبر ذلك لاتصاله بما يدعوا إلى الاستغراب وهو قوله: "لتشرق الدنيا ببهجتها"، إلا أن الغاية الأساسية للتقديم تبقى في الاهتمام بالمتقدم، وإحراز دوره في إيصال المعنى المراد.[1]

ويجعل صاحب "المثل السائر" للتقديم والتأخير أهمية كبيرة في نظم الكلام ويمثل لذلك بقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" الفاتحة الآية (04)، يقول: إنه لم يقدم المفعول به على الفعل إلا لمراعاة نظم الكلام، لأنه لو قال"نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله: "إياك نعبد وإياك نستعين" ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى: "الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينْ، الرَّحْمَانِ الرَّحِيمْ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينْ" الفاتحة الآية (1.2.3) فجاء بعد ذلك قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو حرف النون، ولو قال: "نعبدك ونستعينك" لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن.

ويورد المتأخرون للتقديم أهمية أخرى لا تتصل ببناء الجملة بقدر ما تتصل بطابع الأشياء ومواقعها في الحياة، كتقديم السبب على المتسبب في قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءًا طَهُورًا لِنُحْيِ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنَسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا" الفرقان الآية (48-49)، يقول ابن الأثير: قدم حياة الأرض على واسقاء الأنعام على اسقاء الناس، وإن كانوا أشرف محلا، لأن حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام والناس.[2]

كما تكمن أهمية التقديم والتأخير في إفادة معنى من المعاني كأن تأتي بذكر شيئين أحدهما يكون أفضل من الآخر وكان المفضول مناسبا لمطلع الكلام فأنت هنا بالخيار، فإن شئت قدمت المفصول لما له من المناسبة في الكلام، وإن شئت قدمت الفاضل لما له من رتبة الفضل، وقد جاء في التنزيل تقديم السماء على الأرض وتقديم الأرض على السماء،

---

[1] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص: 17، 18، 19.

[2] ينظر: نفسه، ص: 21، 22، 23.

وكل واحد منهما يحمل سرا إلى لطائف غريبة ومعاني عجيبة، فعلى الناظر إكمال نظره في استنباطها وإمعان فكره في استخراجها.[1]

فمما لا شك فيه أن التقديم والتأخير يلعب دورا جوهريا في تحقيق بلاغة الجملة، لما يضفيه على الأسلوب من إعادة بناء الكلام طبقا لما يحتاجه المقام، بحيث تتعلق هذه الفائدة بفنية الأديب أو المتكلم، وهذه الفنية المتشابكة مع حسه الشعوري واللاشعوري هي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة، فإذا تشابكت إرادة الأديب أو المتكلم مع حسه تولد تركيب جديد، ربما يختلف عما اعتاده الناس في كلامهم وأبنيتهم وتركيباتهم، إلا أنه اختلاف قد يتوافق إلى حد كبير مع مرادات المتكلم والمخاطب على حد سواء، والسعي نحو الغاية المرجوة من الكلام، وهي الإيصال والإفهام، وتلك غاية التخاطب من الأزل وإلى الأبد.[2]

---

[1] يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1995، ص: 239.

[2] ينظر: مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، ص: 24-25.

خلاصة:

من خلال تناولنا التقديم والتأخير في الدرس البلاغي يمكن القول بأن التقديم والتأخير هو أحد الصور التي رصدها البلاغيون العرب ووقفوا على الفوارق الخفية بين ترتيب وترتيب، فالكلام قد يجري على النحو المعتاد الذي يجري فيه الفعل سابقا للفاعل والمفعول، فهذا الوضع أو الترتيب يعطيك معنى سوف يختلف كل الاختلاف أو بعضه إذا خالفت بين ألفاظ الجملة فقدمت فيها وأخرت.

والتقديم والتأخير يلعب دورا بارزا في إيصال المعنى المراد وتحقيق بلاغة الجملة من خلال إعادة توزيع الألفاظ بما يتناسب مع الدلالة المطلوبة لدى المتكلم والسامع، بغض النظر عن البناء الأصلي الذي يشكل في هذا المبحث ركيزة أساسية يمكن العدول عنها لتحقيق هذا الغرض ولكن بمقاييس محددة، لا تجوز على بناء الجملة الأصلي، ولم يتوقف الدرس البلاغي لهذا المبحث عند بعض الألفاظ أو التراكيب دون بعض، وإنما امتد إلى سائر أجزاء الجملة، سواء أكانت المتعلقة بالمسند أو المسند إليه أم كان من المتعلقات التي تلحق بطرفي الإسناد، كما اهتم البلاغيون كذلك بدراسة مقامات التقديم والتأخير بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، فقد درسوا أيضا هذه المقامات مع الحال والمستثنى والظرف وغير ذلك.

ولم تتوقف جهود البلاغيين في هذا المبحث عند مناطات الإثبات وفقط وإنما تجاوزوها إلى مقامات النفي والاستفهام بما يحقق استيعابا كاملا لطرق الكلام عامة، وسجلت آثار هؤلاء البلاغيين أغراضا عديدة ومتنوعة لتلك المقامات التي دعموها بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والنثر.

والتقديم والتأخير لا حكم له إلا الذوق الأدبي لأننا لا نستطيع أن نضع لها الضوابط والقوانين التي لو خرج عليها الكلام قلت فسد، وهذا الأمر موكل إلى الأدباء وأذواقهم، وما البلاغة إلا إتباع هذه الأذواق وما سيق إليه الأدباء من التراكيب التي تصبح هدفا محتذى ونموذجا متبعا يقاس عليه أو يحكم به.

الفصل الثالث

تمهيد

المبحث الأول: مفدي زكرياء والإلياذة.

المطلب الأول: نبذة عن الشاعر مفدي زكرياء.

المطلب الثاني: نبذة عن إلياذة الجزائر.

المطلب الثالث: مواضع التقديم والتأخير ودلالتها الفنية.

خلاصة

تمهيد:

يعد مفدي زكرياء من أبرز الشعراء الذين حملوا همّ الثورة على عاتقهم فهو ما انفكّ يجاهد بقلمه وحبره، وكان الحس الثوري والقومي ميزة من أهم ميزاته وبخاصة في شعره الذي رافق نهوض الحركة الوطنية، والذي ازداد توقّدا بعد اندلاع الثورة المسلحة سنة 1954م، فخدم وطنه من جانب المسؤولية الأدبية والوطنية، فحياته النضالية والأدبية لم تعرف انفصالا، بل كانت متصلة بحبل التضحية في سبيل الوطن، فأخذت بذلك ثورة الشعر مكانة بين ثورة السلاح والسياسة وهذا ما نجده في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء.[1]

ونحن عندما ندعو إلى كتابة تاريخ الثورة التحريرية ونغضّ النظر عن إلياذة الجزائر نكون قد جنينا على تاريخنا بمحو ذاكرتنا الأدبية، لأنّنا كأمّة ضاربة في أعماق التاريخ نحتاج إلى ملحمة وطنية تتغنّى بأمجادنا وبطولاتنا وتضحياتنا، هي ملحمة شعرية تروي مآثر الجزائر وتاريخها النضالي والبطولي متفاعلة مع أحداث الثورة فكانت لسانها الناطق بها والحافظ لتاريخها، و إلياذة الجزائر التي تفرض نفسها عند الحديث عن مفدي زكرياء، بل وعند الحديث عن أجناس الأدب والشعر باعتبارها ملحمة تاريخ الجزائر، واعتقاد صادق أنها تضاهي الإلياذات التي عرفتها آداب وثقافات وحضارات الأمم عبر التاريخ، فهي تضاهي "الإلياذة اليونانية" للشاعر الكبير "هوميروس"، كما تضاهي "الإلياذة الرومانية" للشاعر "فرجيل"، وإلياذة هوميروس ،التي تروي الأساطير اليونانية القديمة، فإلياذة الجزائر تروي تاريخا وأحداثا وبطولات من روائع معجزات الثورة الجزائرية في صنع تاريخها.

فإلياذته الشهيرة التي خطّ فيها بقلمه صفحة مشرقة من تاريخ الجزائر بأسلوب بلاغي يعكس ما تجود به قريحته الشعرية من إبداعات فنيّة وجمالية معتمدا في ذلك تقنية من أهمّ تقنيات البلاغة والبيان وهي تقنية التقديم والتأخير أو تقنية العدول والانزياح، التي تعتبر ملاذ الشعراء في تفجير طاقاتهم الإبداعية باعتبار الشعر موطن الضرورات فيُغتفر فيه مالا يغتفر في النّثر، ومفدي زكرياء كغيره من الشعراء فقد حفلت إلياذته بهذه التقنية الفنّية وكانت من أهمّ السمات البارزة فيها، ما أضفى عليها طابع الفن والجمال، وكان هذا من باب إبراز أهمية وعناية المقدم، لما في تقديم هذا من أهمية وفائدة وعناية وتأخير ذاك من غرض وبلاغة، يقول سيبويه: كأنهم إنما يقدمون الذي ببيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وهذا يعني أن تقديم مادته التأخير، وتأخير مادته التقديم ليس اعتباطيا إنما

[1] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، تأريخا، أنواعا، قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009، ص: 25.

له أغراض ومعانٍ ودلالات لا يدركها إلّا أهل بصر وبصيرة الذين أوتوا حظا وافرا من معرفة مواقع الكلم والذي يراعي فيه سياق واتساق الكلام في التعبير العام على أكمل صورة.[1]

[1]: http://forum.univbiskra.net/index.php?topic=31937.0

المبحث الأول: مفدي زكرياء والإلياذة:

عندما ندعو إلى كتابة تاريخ الثورة الجزائرية ونغضّ النظر عن إلياذة الجزائر نكون قد محونا جزء مهمّا من ذاكرتنا الأدبية التاريخية لأنّنا كأمة ضاربة في أعماق التاريخ نحتاج إلى ملحمة وطنية تتغنى بأمجادها وبطولاتها وتضحياتها، ومن الشعراء البارزين في ثورة التحرير مفدي زكرياء الذي كان الحّس الثّوري والوطني مميّزا لشعره الذي رافق نهوض الحركة الوطنية منذ اندلاع الثورة المسلحة فخدم وطنه ثوريا وأدبيا ودافع عنه من جانب المسؤولية الأدبية.[1]

المطلب الأول: نبذة عن الشاعر مفدي زكرياء:

- **مولده ونشأته:** هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، لقّبه زميل البعثة الميزابية والدراسة "الفرقد سليمان بوجناح" بـ"مفدي" فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به، ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأول 1326هـ الموافق لـ: 12 جوان 1908م ببني يزقن بغرداية أين تلقى فيها دروسه الأولى في القرآن ومبادئ اللغة العربية، ثم التحق بالبعثة الميزابية بتونس فواصل دراسته هناك في مدرسة السلام والمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة، واكب الحركة الوطنية بشعره ونضاله حيث كانت له مشاركة فعالة في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا ومناضلا في حزب نجم شمال إفريقيا فقائدا من أبرز قادة حزب الشعب الجزائري، فكان أن أودع السجن لمدة سنتين 1937-1939[2]، وبعد خروجه من السجن فرَّ إلى المغرب ومنه إلى تونس، وبعد ذلك كان سفير القضية الجزائرية بشعره في الصحافة التونسية والمغربية، كما كان سفيرها في المشرق لدى مشاركته في مهرجان الشعر العربي بدمشق عام 1961م.

بعد الاستقلال أمضى حياته في التنقل بين أقطار المغرب العربي وكان مستقره المغرب وبخاصة في سنوات حياته الأخيرة، وشارك مشاركة فعالة في مؤتمرات التعرف على الفكر الإسلامي.[3]

- **آثاره الأدبية:** خلف مفدي زكرياء آثارا أدبية مختلفة معظمها مخطوط أو تتوزعه الجرائد والمجلات في الوطن العربي، فير أن أهم ما يعبر عن شخصية مفدي زكرياء هو شعره الذي ضمته ست دواوين هي: اللهب

---

[1]: ينظر: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريخا، أنواعا وقضايا، ص: 70.

[2]: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، أمجادنا تتكلم، مؤسسة مفدي زكرياء، د.ط، 2003، ص:1.

[3]:نفسه، ص:2.

المقدس 1966م. من وحي الأطلس 1976م. إلياذة الجزائر 1972م. انطلاقة الخافق المعذب، وإن كانت "إلياذة الجزائر" أهم ما توج به نضاله الأدبي عامة دفاعا عن الجزائر وانتمائها وشخصيتها، فإن ديوان "اللهب المقدس" هو الذي قامت عليه شهرة الشاعر وأهّله للقب شاعر الثورة التي ذاب فيها هياما وأخلص لها حبا كما أخلص لوطنه[1]، وهو صاحب الأناشيد الوطنية: "النشيد الوطني الجزائري". نشيد فداء الجزائر". نشيد "العلم الجزائري". نشيد "فداء الجزائر". نشيد "العلم الجزائري". نشيد الشهداء ... أما نثره فلم يُجمع بعد، وله كتب ذكرها في أحاديثه الصحفية منها: "أضواء على وادي ميزاب" – "الكتاب الأبيض" "تاريخ الصحافة العربية في الجزائر..."

- **استحقاقاته**: حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عاهل المملكة المغربية محمد الخامس في 1961/04/21م، ووسام الاستحقاق الثقافي من رئيس الجمهورية التونسي الحبيب بورقيبة، وشهادة تقدير على أعماله ومؤلفاته تقديرا لجهوده المعتبرة ونضاله في خدمة الثقافة الوطنية من رئيس الجمهورية الجزائرية الشاذلي بن جديد بتاريخ: 1987/07/08م، ووسام الأثير من مصف الاستحقاق الوطني من رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة في: 1999/07/04م.
- **وفاته**: توفي يوم الأربعاء 02 رمضان 1397هـ الموافق ليوم 17 أوت 1977م بتونس، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني يزقن تاركا ورائه أثرا نضاليا وأدبيا كبيرا.[2]

المطلب الثاني: نبذة عن إلياذة الجزائر:

تعد إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء من أهم آثاره الأدبية ألفها سنة 1972م وهي تضم ألف بيت وبيت والتي تغنت بأمجاد الجزائر وبطولاتها وثوراتها، وكانت أول مرة تلقى الإلياذة أو البعض منها لأنها حينها لم تكن قد بلغت الألف بيت، بل كانت تبلغ ستمائة وعشرة أبيات ألقاها مفدي زكرياء في افتتاح الملتقى السادس للفكر الإسلامي في قاعة المؤتمرات من قصر الأمم، أمام جمع غفير من بينهم الرئيس "هواري بومدين"، مناسبة أخرى اقترنت بإلقاء هذه الأبيات واختيار التاريخ موضوعا لها هي الاحتفال بالعيد العاشر لاسترجاع الحرية، وهي تعد أهم ما توج به نضاله الأدبي عامة دفاعا عن الجزائر وانتمائها ووطنيتها.[3]

---

[1]: عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث، تأريخ، أنواعا، قضايا وأعلاما، ص: 72.

[2]: مصطفى بن الحاج بكير حمودة، أمجادنا تتكلم، ص: 2، 3.

[3]: عمر بن قينة، الأدب الجزائري الحديث، تأريخ، أنواعا، قضايا وأعلاما، ص: 70.

تعتبر إلياذة الجزائر لوحة فنية باهرة تمثل جزائر اليوم والأمس والغد بعظيم تاريخها وشموخ جبالها وشهامة أبطالها وشساعة صحرائها، فصرنا نتغنى بأشعارها ونرددها في كل زمان، وقد كانت الإلياذة عملا بارعا لأجيال متعاقبة حتى تظل الجذور متواصلة وفروع حب الوطن دائما مورقة، لقد قيل الكثير حول الإلياذة، واتفق الجميع على كونها ملحمة شعرية تروي مآثر الجزائر وتاريخها النضالي والبطولي، وتسجل أمجادها وتصف طبيعتها بأسلوب يتميز بالخيال الواسع والموسيقى التعبيرية الفدية المشحونة بشعاليل نورانية، وبالفعل فالإلياذة سجل لكل المقاومات وسجل لحاضرنا ومستقبلنا في مساعينا لاستعادة شخصيتنا وحصاتنا لبناء مجد جديد وسجل للتغني بجمال الطبيعة بجمال الجزائر، لقد خلدت إلياذة الجزائر آل الشيخ زكرياء عقل الأمة الجزائرية كما يقول الفيلسوف الألماني "شوبنهاور" "التاريخ للأمم هو كالعقل للأفراد ويقول الأمة الجزائرية تسجله إلياذة زكرياء".[1]

المطلب الثالث: مواضع التقديم والتأخير ودلالتها الفنية

كل جملة عربية لها تركيبها الخاص، فالفعلية يتقدم فيها الفعل على الفاعل، والفاعل على المفعول به، والاسمية يتقدم فيها المبتدأ على الخبر، ولا يتقدم الخبر على المبتدأ والفاعل على الفعل والمفعول به على الفاعل إلا في أحوال يقتضيها التعبير البلاغي، وهي ما يطلق عليها بتقنية التقديم والتأخير والتي تُعد سمة أسلوبية في التركيب اللغوي عامة والشعري خاصة باعتبار الشعر موطن الضرورات فيغتفر فيه مالا يغتفر في النثر ومفدي زكرياء كغيره من الشعراء فقد حفلت إلياذته بهذه التقنية البلاغية التي لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وجماله الفني، ومن مواضع التقديم والتأخير التي حفلت بها الإلياذة نذكر:

أولا: تقديم الخبر عل المبتدأ:

في البداية يمكن الإشارة أولا إلى مفهوم المبتدأ والخبر والأصل في رتبتهما في النحو العربي.

- **المبتدأ**:هو الاسم المحقق (الصريح)، أو المقدر (المؤول) المخبر عنه مجردا من العوامل اللفظية الزائدة أو الوصف السابق مسندا إلى مرفوع مستغنى به، فالمحقق مثل قوله تعالى "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ" الفتح الآية (29) والمقدر مثل قوله تعالى"وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ" البقرة الآية (184).[2]

---

[1]: http://forum.univbiskra.netLindex.php?topic=31937.0

[2]: فتح الله صالح المصري، دراسة الجملة الاسمية، مكتبة نانسي دمياط، د.ط، 2004، ص:7.

- **الخبر**: هو الركن الثاني في الجملة الاسمية وهو اسم مرفوع يخبر عن المبتدأ ويتمم معنى الجملة مثل: الشمس كوكب مضيء.[1]

فالترتيب الأصلي لركني الجملة الاسمية أن يذكر المبتدأ أولا ثم الخبر ثانيا، أي أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولكن لم يُمنع عكس هذا الترتيب فيتقدم الخبر على المبتدأ وذلك مثل قوله تعالى "فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ" البقرة الآية (261) وقوله تعالى أيضا "في قلوبهم مَّرَضٌ" البقرة الآية (10).[2]

وقد كان هذا النوع رائجا في ثنايا الإلياذة باعتبارها شحنة إخبارية فمنها قوله:

فِي كُلِّ دَرْبٍ لَنَا لَحْمَةٌ مُقَدَسَةٌ مِنْ وِشَاجٍ وِصُلْبٍ[3]

إنّ الشاعر يكشف لنا عن آثار نضالية تاريخية في الجزائر، وهي تعكس لنا مدى عظمة الثورة وأعظم منها الشعب الجزائري الذي صنع ملاحمها وبطولاتها وخلّد اسمها في التاريخ، فالثورة موجودة في كل درب من دروب الجزائر وفي كل نقطة من ترابها الطاهر، فشمولية الثورة وقوتها وعظمتها جعل الشّعب الجزائري يقدسها ويفتخر بها فهي شعاره الكفاحي والنضالي الذي وقف بها سدًّا منيعا في وجه العدو الغاشم، ونجد الشخصية الشعرية قد استطاعت أن تبرز لنا مدى قوة وشمولية الثورة في طابع إخباري فني تلاعب فيه بتركيب أجزاء الكلام فقدم ما حقّه التأخير وأخر ما حقّه التقديم، ولم يكن ذلك عبثا من الشاعر وإنّما لغاية بلاغية في إبراز وتأكيد أهمية المقدّم، فقد قدم الخبر وهو شبه الجملة "في كل درب" على مبتدئه وهو لفظة "لحمة" مجسدا ذلك في صورة فنية دلالية لها من القوة والتأثير ما يجلب خيال السامع إلى قوة وعظمة الثورة الجزائرية وشموليتها.

وَفِي كُلِّ حُبِّي لَنَا صَبْوَةٌ مُرَنَّحَةٌ مِنْ غَوَايَاتِ صُبِّ[4]

ونجد الشاعر هنا يصور لنا الجانب العاطفي للثورة الجزائرية، فالشعب الجزائري متشبع بحب الوطن فلا يعرف من الحب سوى حبّ الوطن والتضحية، وهو ما يشكل جدل وجداني في ذات الجزائري في ثنائية جمعت بين حب الجزائري لأخيه وحبه لوطنه الذي يبقى فوق كل اعتبار، وهو ما أرسى المحور الدلالي للحب في الانتماء إلى هذه الأرض البطولية، وقد نقل الشاعر أحاسيسه والشعب الجزائري بصدق لأنها نابعة من أعماق العواطف

---

(1): محمود مطرجي، النحو وتطبيقاته، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2000، ص: 156

(2): فتح الله صالح المصري، دراسة الجملة الاسمية، ص:31.

(3): مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء، د.ط، 2006، ص: 21.

(4): نفسه، ص: 21.

الصادقة في صورة فنية بليغة، مكسرا بذلك القاعدة النحوية في التركيب اللغوي للجملة حيث قدم الخبر وهو شبه الجملة "في كل حيٍّ" على مبتدئه وهو لفظ "صبوة" للتأكيد على قوة العاطفة وحب الوطن والفداء في سبيله والتقديم والتأخير هنا ذات شحنة إخبارية بسيطة لكنها تشكل موقعا فنيا بليغا يُثار فيه مشاعر وعواطف المتلقي لقوة الرابطة والعاطفة التي تجمع الإنسان بوطنه. كما نجد ذلك في قوله:

وَفِي كُلِّ شِبْرٍ لَنَا قِصَّةٌ مُجَنَّحَةٌ مِنْ سَلَامٍ وَحَرْبٍ[1]

استهل الشاعر في البداية حديثه عن الجزائر كتلة واحدة باعتبارها رمز الوطن، ثم انتقل إلى ذكر مناطقها منطقة منطقة حتى وصل إلى ذكر كل درب وشبر من أرض الجزائر لأن كل نقطة من هذا الوطن تحمل قصة نضالية تاريخية تروي أمجاد وبطولات الشعب الجزائري، فلكل منطقة قصتها وأبطالها في تحقيق الحرية والاستقلال، وقد برزت لنا براعة الشاعر في تحقيق التجانس الجزئي لألفاظ "درب – حي – شبر" والتي تشترك في مدلول واحد حيث أن الشبر جزء من الدرب و الدرب جزء من الحي، وهكذا فتشاكل هذه الألفاظ فيما بينها زاد في تقوية وتأكيد المعنى، وهذه الصورة التحليلية التي رسمها الشاعر لأرض الجزائر والتي استطاع من خلالها التلاعب بهندسة وتركيب الجملة تقديما وتأخيرا حيث قدّم الخبر وهو شبه الجملة "في كل شبر" على مبتدئه وهو لفظ "قصة" وفي هذا تأكيد على أهمية وشمولية الثورة وانتشارها عبر كافة أرجاء الوطن ممّا يؤكد العناية البالغة بالثورة المجيدة، وقد صورها في قالب فنّي جمالي يعكس جمال وسحر الجزائر.

وهذا الضرب من التقديم والتأخير لم يكن له حظ وافر في الإلياذة فقد كان متناثرا بنسبة قليلة في ثناياها والتي منها قوله كذلك:

عَلَى العَرَبِيّ الشَّهِيدِ صَلَاةٌ مُضَرَّجَةٌ بِدِمَاءٍ وَنُورٍ[2]

والمتأمل في هذا البيت الشعري يلمح ظاهرة التقديم والتأخير والتي تجلت في تقديم الخبر وهو شبه الجملة مع المضاف إليه "على العربي الشهيد" على مبتدئه المؤخر "صلاة" والأصل أن يقول "صلاة على العربي الشهيد"، وقد كان لتقديم الخبر دلالة فنية وأهمية بلاغية توحي بتضحيات الشهداء في سبيل الوطن في أسلوب فني بليغ والعبرة في تقديمه أبلغ، كما نلمح ذلك أيضا في قوله:

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 21.

[2]: نفسه ، ص: 74.

وَفِي الأَرْضِ لِلزَّارِعِينَ خَبَايَا مُضَمَّخَةٌ بِدِمَاء الضَّحَايَا[1]

فقد جسّد لنا الشاعر ارتواء التربة الجزائرية بالدماء الزكية في أسلوب يمتاز بحسن اختيار الألفاظ وجودة الصياغة مستعملا فنا من فنون البديع وهو التصريح "خبايا –شظايا" مقدما في ذلك الخبر وهو شبه الجملة "في الأرض للزارعين" على مبتدئه "خبايا" لإبراز أهمية وعناية المقدم واختصاصه بالتضحيات.

ثانيا: تقديم الجار والمجرور على خبر المبتدأ:

إنّ الترتيب النحوي للجملة الاسمية أن يتصدر المبتدأ الجملة ويعقبه الخبر باعتباره ملازما لمبتدئه ومخبرا عنه، وقد تحتاج الجملة بعد ذلك إلى معان إضافية تضيفها إلى المعنى الأساسي لتوضيحه أكثر وهي ما تسمى بالمكملات والتي منها الجار والمجرور، لكن قد يحدث تغيير في التركيب النحوي للجملة فيتقدم الجار والمجرور على خبر المبتدأ، وذلك ما نلمسه في إلياذة الجزائر التي زخرت بهذا الضرب من التقديم والذي كان طاغٍ على الإلياذة بصورة جلية فمنها قوله:

وَبِلْكَوْرَ لِلْمَجْد شَقَّ طَرِيقَهُ وَخَطَّ مَعَالِمَهَا فِي السُّوَيْقَة[2]

فنجد الشاعر هنا قد عمد إلى ذكر مجموعة من أسماء المدن والأماكن الجزائرية في ثنايا إلياذته منها:"بلكور– السويقة" فهي من الناحية الدلالية تمثل الجانب المكاني في الخطاب الشعري ليحيل الشاعر سامعه إلى واقع بأسمائه وأماكنه الحية وذلك تخليدا وتمجيدا لمآثر هذا الوطن الجليل سائرا نحو المجد ليشق طريقه الصعب بصوت نضالي متطلعا إلى الحرية ولا شيء سواها، وهو في هذا نجده قد استعمل تقنية التقديم والتأخير، فقدم الجار و المجرور "للمجد" على خبر المبتدأ وهو الجملة الفعلية "شق طريقه"، فأصل الكلام "وبلكور شقّ طريقه للمجد" باعتبار الخبر أقرب إلى مبتدئه من الجار والمجرور، لكنّه تلاعب بألفاظ الجملة تقديما وتأخيرا، ولم يكن ذلك عبثا منه بل كان فنّا بلاغيا غايته من ذلك تخليدا لأماكن ثورية "بلكور والسويقة" في أسلوب جمالي تقدم الجار والمجرور وهو لفظ "للمجد" الذي يتطلع الشعب الجزائري لتحقيقه، وهي صورة فنية رائعة استطاع الشاعر من خلالها أن يبلّغ رسالته للشعب الجزائري وللاستعمار الفرنسي فخرا واعتزازا.

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 88.

[2]: نفسه ، ص: 28.

وَسُوسْتَالَ بِالرُّعْبِ طَارَ شُعَاعًا فَغَصَّ وَمَا اسْتطَاعَ يَبْلُعُ رِيقَهُ[1]

وهنا نجد الشاعر يعرض حديثه عن أسماء وأعلام استعمارية احتقارا، والتي توزعت في ثنايا الإلياذة منها "سوستال" وهو جنرال فرنسي تفنن في ممارسة أشكال التعذيب في حق الجزائريين الأبرياء، فرغم غطرسته إلا أنه لم يستطع الصمود أمام قوة الثورة، فقد صور الشاعر هزيمته بصورة رائعة تعكس مدى قدرته على التصوير الفني في ثوب جمالي وأسلوب راقي يحمل دلالة لفظية بلاغية، في صورة بيانية حيث استخدم التشبيه البليغ فسوستال من شدة الرعب أصبح له جناحان يطير بهما، كما لم يستطع بلع ريقه، ولأهمية الجار والمجرور قدّمه عن الخبر في قوله "بالرعب طار شعاعا" فلولا إرادة الشاعر وتأكيده على شدة الرعب لما قدم الجار والمجرور وتجسد ذلك في صورة بلاغية فنية.

وَكَمْ عَاهَدُوكِ... وَكَمْ أَخْلَفُوا وَكُنْتُ بِمَا يُضْمِرُونَ بَصِيــرَا[2]

فالشاعر هنا يقر بالوعود الفرنسية الكاذبة التي كانت في كل مرة تعطي بريق الأمل، بريق الحرية والاستقلال للجزائريين، لكنها كانت سرابا وتسعى لأهدافها وغاياتها الخبيثة من وراء ذلك، وهنا استخدم الشاعر تقنية الحذف التي زادت المعنى قوة وتأثيرا لما في الحذف من بلاغة الكلام والمعنى على حد السواء، لكن الشاعر ببصيرته كان عليما بنوايا فرنسا وما تضمره اتجاه الثورة الجزائرية فما تضمره خبيثا، وقد صبّ الشاعر اهتمامه وأولى عنايته بما تضمره فرنسا للجزائريين من مكر وخبث وخداع لذلك قدم الجار والمجرور "بما يضمرون" على خبر كان وهو لفظ "بصيرا" والأصل "وكنت بصيرا بما يضمرون"، لكن لكشف خبث فرنسا في وعودها فقد حرص على أهمية تقديمها على الخبر، وهو ما ساهم في تشكيل وإبراز جماليات النص الشعري في قالب فنيّ رائع.

ونجد هذا النوع من التقديم هو الآخر لم يكن له حظ ونصيب في الإلياذة الجزائرية فكان توظيفه بصورة قليلة متناثرا بين سطورها، فلم يلجأ إليه الشاعر كثيرا حيث يقول:

وَكُنْتُ لِرُوحِ النِّضَالِ لَهِيبًا شَعَالِيلُهُ مِنْ شظايا هَوَاكِ[3]

وهنا نلحظ تقنية التقديم والتأخير أو تقنية العدول والانزياح في الأسلوبية التي وظفها الشاعر حيث قدّم الجار والمجرور "لروح النضال" على خبر كان وهو "لهيبا" تأكيدا منه على إبراز أهمية روح النضال والكفاح في صنع

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 28.

[2]: نفسه ، ص: 55.

[3]: نفسه، ص: 84.

مجد الوطن، فقد أولى عنايته واهتمامه بالمقدم وهو الجار والمجرور على حساب "خبر كان" وهو الأولى له بملازمة اسمها مجسدا ذلك في أسلوب تميز بحسن الصياغة وملائمة غرض الخطاب الشعري.

وَكُنْتُ لِصِدْقِ الضَّمِيرِ مِثَالاً فَيَا لَيْتَهُمْ يَتْبَعُونَ خُطَـــاكِ[1]

كما نلمس كذلك في هذا البيت الشعري لجوء الشاعر إلى توظيف تقنية التقديم والتأخير، فقدّم الجار والمجرور وهو "لصدق الضمير" على خبر كان وهو لفظ "مثالا" للدلالة على الأهمية والدور الذي يلعبه صدق الضمير في ضع أمجاد الثورة وتحقيق انتصاراتها في صورة فنية بليغة تجلت فيها قريحة الشاعر الإبداعية.

ثالثا: تقديم المفعول به على الفاعل:

بداية تجدر الإشارة إلى موقع المفعول به في التركيب اللّغوي للجملة عند النحويين.

- **المفعول به:**

تتركب الجملة الفعلية من ركنين أساسين هما الفعل والفاعل جملة لازمة وفعل وفاعل ومفعول به جملة متعدية ، وهو في هذه الحالة عمدة، وقد تحتاج الجملة إلى معاني إضافية تضيفها إلى المعنى الحقيقي وهي فضلة.

المفعول به هو اسم منصوب يدل على من وقع عليه فعل الفاعل مثل: قرأ خليلٌ الدرسَ[2]، والأصل في المفعول به أن يأتي في رتبة بعد الفاعل لكن قد تختل القاعدة النحوية فيُقدم المفعول به على الفاعل، دون أن يكون هناك لُبس في المعنى فنقول مثلا: قرأ الدرسَ خليلٌ، فتقديم المفعول به على الفاعل لم يخل بالمعنى العام للجملة[3]. والغاية من تقديمه بلاغية تحمل من الجمال والفن ما يعبر عن دلالة الخطاب الشعري، وهذا ما نلمسه في الإلياذة حيث نجد هذا الضرب من التقديم والتأخير متناثر في ثنايا القصيدة بصورة كبيرة تعكس شاعرية مفدي زكرياء في صور فنية ذات دلالة بلاغية، ومنها قوله:

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 84

[2]: عبده الراجحي، النحو التطبيقي، دار المعرفة، د.ط ص: 188.

[3]: محمود حسني مخالسة، النحو الشافي الشامل،دار المعرفة، بيروت ص: 340.

أُسْطُورَةٌ رَدَّدَتْهَا القُرُونُ فَهَاجَتْ بِأَعْمَاقِنَا الذِّكْرَيَاتُ[1]

فالجزائر الأسطورة التي تناقلتها القرون بفخر وإعجاب فشكلت بذلك جزء هاما من الذاكرة الحضارية الإنسانية، واستعمال مفدي لكلمة أسطورة قد صبغ الثورة الجزائرية بصبغة تاريخية من خلال مسيرتها البطولية، هذه الأسطورة ليست وليدة حرب التحرير فحسب بل هي وليدة صراعات وبطولات دامت قرون، وقد استطاع الشاعر ببراعته وفنيته البلاغية أن يجسد الجامد في صورة المحسوس من خلال توظيفه للصور البيانية فنجده شبّه القرون بإنسان يردد حكاية في كل مرة، حكاية خلدها التاريخ توقظ في الأعماق روح الحماسة وتلهب نار الحقد في العدو، وفي هذا التصوير الفني الجميل نجد الشاعر قد غير رتب عناصر نحوية وعبارات الجملة عدولا وانزياحا، وما ذلك إلا لتحقيق وظيفة وغاية بلاغية التّي جادت بها قريحته فنجده قدم المفعول به وهو "ضمير الهاء المتصل بالفعل ردّد" على الفاعل وهو لفظة "القرون"، وكان الأصل في الكلام أن يتقدم الفاعل على المفعول به، وهذا التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول به لا نصل إلى فكِّ رموزه إلا إذا قلنا "رددت القرون أسطورة" وهذا هو الأصل في الكلام، فدعوى الشاعر تُبنى على لغته الموحية المعبرة من أجل إبراز القيمة الفنية والبلاغية للكلام ووضعه في قالب فني جمالي الذي من شأنه إثارة خيال السامع بالتنقيب عن معاني ودلالات هذا الأسلوب الكلامي البليغ الذي له من قوة التأثير في نفس القارئ أو السامع.

جَزَائِـــرُ أَبْدَعَهَا ذُو الجَلَالِ وَصَـــوَّرَ طِينَتَهَا مِنْ نِضَالِ[2]

فالشاعر هنا يصور لنا بدعة الخالق في صنع الجزائر، وهو تصوير فنّي رائع لهذه الأرض الطاهرة التي انبثقت وتشكلت من طينة النضال، وكأن الشاعر يريد أن يقول لنا أن الجزائر وُجدت من أجل النضال ولا شيء غيره، وطينتها ثورية خالصة، وهو تعبير دقيق عن شدة المعاناة المتوالية للجزائر من ويلات الاستعمار، فكانت البطولة والنضال رمز وشعار الجزائر التي صنعت بها قصص وأساطير خلدت اسمها في التاريخ، وهنا نلاحظ أن الشاعر قد غير التركيب النحوي للجملة وفي نسيجها اللغوي فقدم المفعول به وهو "ضمير الهاء المتصل" وحقه التأخير، وأخر الفاعل وهو من الأسماء الخمسة "ذو " و حقه التقديم، فكان الأجدر في القول "أبدع ذو الجلالِ الجزائرَ"، وهذا التغيير في ترتيب أركان الجملة أضاف دلالة جمالية فنية ساهمت في إبراز أهمية وفائدة المقدم إضافة إلى تذوق النصوص البليغة الرفيعة فهي إحالة وإيماء من الشاعر إلى لفت انتباه القارئ على تصوير بدعة الخالق

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص: 19.

[2]: نفسه، ص: 60.

للجزائر والبدعة في معناها اللغوي التي تعني خلق الشيء لا على غير مثال سابق، وكأن الجزائر كان لها السبق في إبداعها من طينة النضال، مستعملا في ذلك لغة فنية تعكس سحر وجمال الجزائر.

وَرَاوَدَ صِدْقَ الضَّمِيرِ الأَمِيرُ فَقَامَ يُلَاحِقُ طَيْفَ الخَيَالِ[1]

فالأعلام والشخصيات البطولية كانت حاضرة بقوة في ثنايا الإلياذة، وكل شخصية من هذه الشخصيات تجسدها قصص بطولية وأسطورية عبر مسارها التاريخي الحافل بالتضحيات، والشاعر يتغنى فاخرا بأمجاد وطنه "الأمير عبد القادر" الشخصية النضالية في تاريخ الجزائر من خلال سلسلة الحروب والثورات والمقاومات التي وقف بها سدا منيعا في وجه العدوّ، وما زاده قوة وعزيمة ثقافته الدينية ومبادئه الأخلاقية، وضميره الإنساني الوطني الذي أثار له درب النضال والكفاح، فهو متشبع بالروح الوطنية متعطش للدماء الاستعمارية فقد كرس حياته خدمة ودفاعا عن وطنه الجزائر، فدافع عنه بقلمه ولسانه وسلاحه حتى خلد اسمه في التاريخ، ونجده قد رسم صورة إنسانية نضالية للأمير عبد القادر معبرا في ذلك عن صفاء وصدق ضميره الأخلاقي، مجسدا ذلك بسمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة وبلاغة الكلام ألا وهي سمة التقديم والتأخير، فقد قدم ما هو أهم وأبلغ المفعول به وهو لفظة "صدقَ" على الفاعل المؤخر وهو "الأميرُ"، فكان الأولى في الكلام أن يقول: "راود الأميرُ صدقَ الضمير" لكن لعناية الشاعر واهتمامه بالدور الكبير الذي يلعبه صدق الضمير في صنع مجد الوطن فقد كسر بذلك القاعدة النحوية وقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم وما ذلك إلا لبيان وتأكيد أهمية وبلاغة المقدم في الخطاب الشعري وما فيه من حسن وجمال الأسلوب لإثارة مشاعر السامع.

ما نلحظه في هذا النوع من التقديم والتأخير هو تواتره بنسبة كبيرة في الإلياذة فقد كان طاغيا عليها بشكل جليّ، ولكن لكثرته نكتفي بذكر البعض منه فقط، ومن ذلك قوله:

أَزْعَجَ قَوْمًا آذَانُ الصَّلَاةِ يُجَلْجِلُ فِي القِمَمِ الضَّارِعَاتِ[2]

وهنا نجد الشاعر قد عمد إلى توظيف تقنية التقديم والتأخير، حيث قدم المفعول به "قومًا" على الفاعل "آذانُ" وذلك لاختصاص فرنسا برفضها للديانة الإسلامية، وكان التعبير في التقديم والتأخير أبلغ وأجمل.

كما نجده يقول:

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 60.

[2]: نفسه ، ص: 112.

أَكَّدَ فِعْلَ الصِّفَاتِ العُصَاةُ فَأَكَّدَ فَضْلَكِ سَتْرَ العُيُوبِ[1]

وهنا قدم الشاعر المفعول به وهو لفظ صريح "فعلَ" على الفاعل وهو لفظة "العصاةُ"، وكان غرضه من التقديم هو إبراز أهمية المقدم والعناية به مجسدا ذلك بأسلوب واضح وألفاظ فصيحة موحية في قالب فني جمالي يحمل دلالات فيها من البيان والبلاغة ما يُثار فيها الخيال الواسع.

وقوله كذلك:

وَيَا لَلْبُطُـــولَاتِ تَغْزُو الدُّنَا وَتُلْهِمُهَا القِيَمُ الخَـــالِدَاتُ[2]

وهنا نجد الشاعر قد قدّم المفعول به وهو "ضمير الهاء المتصل بالفعل تلهم" على الفاعل وهو لفظة "القيمُ" وما ذلك إلّا لعناية الشاعر وتأكيده على أهمية المقدم وهي البطولات ودورها في صنع تاريخ الجزائر، وتمجيد ثورتها مصورا ذلك بأسلوب خيالي عميق.

كما نجد قوله كذلك:

وَجَـــنَّةً غَارَ مِنْهَا الجِنَانُ وَأَشْغَلَهُ الغَيْبُ بالحَـــاضِرِ[3]

ونلمس في هذا البيت الشعري جمالا وبلغة في توظيف الشاعر لتقنية التقديم والتأخير حيث قدم المفعول به وهو "ضمير الهاء المتصل بالفعل أشغل" على الفاعل وهو "الغيبُ"، وكان غرضه من ذلك هو إبراز أهمية المقدم والعناية به مجسدا ذلك في صورة بلاغية فنية توحي بالمعنى الدلالي للخطاب الشعري.

رابعا: تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

تتركب الجملة الفعلية من الفعل والفاعل الذي يكون الأقرب إلى فعله من أي عنصر آخر في هذا التركيب اللغوي للجملة، لكن قد تنحرف القاعدة النحوية عن أصلها فيتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما حقه التقديم ومن ذلك مثلا تقديم الجار والمجرور على الفاعل، وهذا النوع من التقديم والتأخير نجده بشكل كبير منتشر في ثنايا الإلياذة منها قوله:

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 114.

[2]: نفسه، ص: 19.

[3]: نفسه ، ص: 20.

وَيَا ثَـــــوْرَةً حَارَ فِيهَا الزَّمَانُ وَفِي شَعْبِهَا الحَـــائِرِ الثّـــَائِرِ[1]

فالشاعر يصور لنا عظمة الثورة الجزائرية، مستعملا في ذلك فنا من فنون الكلام البليغ وصورة من صوره البيانية ألا وهي الاستعارة، فقد شبه الزمان وهو حائر في الثورة الجزائرية بإنسان يحار في أمر ما، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي صفة الحيرة على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا ما زاد التعبير قوة وتأكيدا وبلاغة وجمالا، فقد كان للعامل الزّماني دوره الفعال في رسم ثورات الجزائر عبر مسارها التاريخي الطويل، هذا إلى جانب العامل البشري الذي كان له حظ من البطولة في الإلياذة والذي ثار بكل عزيمة وحماس يذود عن وطنه، والشخصية الشعرية هنا تبدو ساخرة من العدو رغم قوته المادية والبشرية، مجسدا ذلك في صورة فنية بليغة من خلال تقديمه للجار والمجرور "فيها" التي ترمز إلى الثورة مبرزا عظمتها وقوتها ومجدها مؤكدا على بالغ أهميتها، مؤخرا في مقابل ذلك الفاعل وهو لفظ "الزمان" والأصل في الكلام "وثورة حار الزمانُ فيها" ولكن تعظيما وتمجيدا للثورة فقد قدّم مدلولها على الفاعل وذلك لاختصاصها بالأهمية والعناية البالغة، وهذا الفن من التقديم والتأخير لا يدركه إلا أهل بصر وبصيرة ومعرفة بمواقع الكلم فيقدم ويؤخر عن دراية ومعرفة لما وراء تقديم هذا اللفظ من مغزى وما تأخير ذلك من غرض، وما يكسب الكلام دلالة جمالية فنية.

عَلَا بِالمـــدْيَّةِ تَاجُ الجَلَالِ فَأَعْلَى بِمِلْيَـــانَةَ المِفْرَقَا[2]

تعدّ البطولة والتضحية الموضوع الرئيسي لإلياذة الجزائر فقد كانت الجزائر المحور الأساسي وهي "رمز الوطن"، استهل الشاعر حديثه بداية بالوطن، لكنه لم يكتف بذكر هذا الوطن كتلة واحدة، بل نجده يذكره منطقة منطقة "المدية– مليانة" معبرا عما تحمله كل منطقة من قصة تاريخية تلهب حرارة النضال لما يربط الإنسان بوطنه، ولم يكن ذكر الشاعر لهذه المناطق عفويا، بل كان من باب التذكير لأن كل بقعة من أرض الجزائر تخفي ورائها حكاية بطولية، وتحمل على أديمها دم شهيد لا يعرف اسمه، فكل منطقة من مناطق الجزائر هي رمزا من رموزها التاريخية، معبرا عن ذلك بأسلوب فني فصيح سلس مناسب لغرض النص لما فيه من إيحاء ودلالات فنية وما زادها بلاغة وجمالا استعماله لتقنية التقديم والتأخير أو تقنية العدول والانزياح حين قدّم الجار والمجرور "بالمدية" ليؤكد لنا على مدى عظمة الثورة وشموليتها لكل نقطة من تراب الجزائر مؤخرا في مقابل ذلك الفاعل وهو لفظ "تاجُ" وكان الأولى له أن يتقدم على الجار والمجرور، والذي يظهر جليا في النص الخطابي هو ما يتعلق بالمجد التاريخي عند الشخصية الشعرية مما أرسى الدلالة البطولية والانتماء إلى هذه الأرض العريقة التي تعتبر رمز النص الخطابي للإلياذة

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 20.

[2]: نفسه ، ص: 47.

معبرا في ذلك عن تذوق سحر وجمال الجزائر التي أبدع الشاعر في رسم صورها وبيان قيمتها الفنية ومعانيها الدلالية.

أَفَاقَ مِنْ الوَهْمِ حِزْبُ البَيَانِ فَأَسْلَمَ لِلْمُخْلِصِـــينَ العِنَانْ[1]

والشاعر لم يكتف بذكر مناطق الجزائر منطقة منطقة مبرزا تضحياتها وبطولاتها والتي كان الكفاح المسلح شعارها، لينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الكفاح السياسي أو الثورة السياسية والتي كان الحبر والقلم شعارها، من خلال تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية للمقاومة والنضال، فكان حزب البيان حاملا لمشعل الحرية والاستقلال وطريقا إلى تحقيق تطلعات الشعب الجزائري في تصعيد صدى الثورة الجزائرية في المحافل الدولية وبعث الروح الوطنية النضالية وتقوية النزعة الثورية وغرس بذور الحماس في نفوس الجزائريين، وقد تجلت لنا براعة الشاعر في تجسيد ورسم مخطط الثورة الجزائرية وبيان أهم دعائمها السياسية من خلال سمته الأسلوبية البارزة في الخطاب الشعري وهي سمة التقديم والتأخير الذي تلاعب فيها بترتيب أجزاء الجملة عدولا وانزياحا فقدم الجار والمجرور "من الوهم" للتعبير عن يقظة وفطنة المقاومة السياسية ودورها الفعال في رفع صوت الثورة مؤخرا الفاعل وهو لفظ "حزب" وذلك لاختصاص حزب البيان والإشادة بأهميته البالغة في دفع الثورة نحو الأمام، محققا بذلك بلاغة أسلوبية فنية ذات دلالات جمالية معبرة.

وهذا الضرب من التقديم والتأخير لم تحفل به الإلياذة بصورة كبيرة، بل نجده متفرقا في ثناياها بشكل قليل، بل حتى تكاد تخلو منه الإلياذة، ونجد ذلك في قوله:

هَامَ بِكِ النَّاسُ حَتَّى الطُّغَاةُ وَمَا احْتَرَمُوا فِيك حَتَّى الزَّمَانُ[2]

فقدم الشاعر هنا الجار والمجرور "بك" على الفاعل وهو "الناس" للتأكيد على اختصاص الثورة بالاهتمام البالغ من الشعب وهي عناية الشاعر بالمقدم والتي جسدها في أسلوب بلاغي أضفى على المعنى قوة ودلالة، وكان التعبير بالتقديم أبلغ.

وَقَالَ لَهُ الشَّعْبُ أَمْرُكَ رَبِّي ! وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَمْرُكَ أَمْرِي !![3]

ونلمس هنا سمة التقديم والتأخير التي تجلت في هذا الخطاب الشعري، حيث قدم الجار والمجرور وهو "لهُ" على الفاعل "الشعبُ، الربُّ" لاختصاص الشعب بمناجاة ربه والتضرع إليه بالدعاء، واستجابة الرب لدعاء عبده، مبرزا ذلك في صورة بلاغية، فالكلام بالتقديم أبلغ في التعبير وأجمل من الكلام العادي .

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 64.

[2]: نفسه ، ص: 118.

[3]: نفسه، ص: 69.

خامسا: تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

تتركب الجملة الفعلية من الفعل والفاعل والمفعول به، والأصل في ترتيب المفعول به أن يأتي في رتبة ثالثة بعد الفعل والفاعل، لكن قد يحدث تغيير في القاعدة النحوية فتتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض، كأن يتقدم المفعول به، وهذا النوع نجده رائجا بشكل كبير في ثنايا الإلياذة، فقد وظفه الشاعر بصورة جلية وما ذلك إلا لغرض بلاغي في نفس الشاعر ودلالة فنية جسدها في إلياذته، ومن هذا الضرب تقديم الجار والمجرور على المفعول به نجد:

عَبَّدْتِ لِلشَّعْبِ دَرْبَ الفِدَا وَمَا خِسْتِ مُذْ خَطَفُوكِ أَسِيرَا[1]

لقد رسم الشاعر لنا طريق الثورة الذي سلكه الشعب الجزائري تضحية وفداء نحو الحرية والاستقلال، فكانت المشعل الأول والمصباح المنير الذي أضاء درب الكفاح والنضال، وكانت الثورة السلاح الحقيقي الذي حمله الشعب الجزائري وثار به يذود عن وطنه، فالثورة كانت بمثابة نقطة تحول في تاريخ الجزائر، وقد عبر لنا الشاعر عن ذلك بأسلوب فنيّ بلاغي راقي فأحدث تغييرا في الرتب لأجزاء الجملة عدولا وانزياحا، حيث قدم الأهم الجار والمجرور وهو "للشعب" لاختصاصه باشعال فتيل الثورة وتحقيق انتصاراتها جاعلا في مقابل ذلك المفعول به في رتبة غير رتبته وهو لفظ "درب" وهذا إصرار وتأكيد من الشاعر على قوة وعزيمة الشعب الجزائري على تمجيد ثورته وتخليد اسمها في سجل التاريخ، وهو ما زاد المعنى قوة ودلالة فنية بلاغية.

وَصَعَّرْتِ لِلْجِنـــيرَالَاتِ خَدًّا فَخَابَتْ نَوَايَـــاهُمْ الآثِمَة[2]

والثورة الجزائرية التي حفلت بانتصارات الشعب الجزائري واستعادة سيادته الوطنية وكرامته الإنسانية، فهي في المقابل كانت نقطة ضعف وخيبة أمل للاستعمار الفرنسي، أو بالأخص لقوّاد وجنرالات فرنسا فهي بمثابة الصفعة القوية التي أسقطت قناع القوة والبطش عن وجه العدو فخابت وفشلت مخططاتهم المكرة ونواياهم الخبيثة في وضع مخططات الثورة.

وقد جسد الشاعر لنا ذلك بلغة وأسلوب بلاغيين، وما زاد في جمالهما قدرة الشاعر وبراعته في تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم في الخطاب الشعري فقدم الجار والمجرور وهو ""للجنرالات" تعبيرا منه وتأكيدا على شدة الانتكاسة التي ألحقها بهم أبطال الجزائر واختصاصهم بها، وتأخيره للمفعول به وهو لفظ "خَدًّا" الأجدر "وصعرت خدًّا للجنرالات" وهذا هو الأصل في الكلام، لكن من البلاغة والجمال الكلامي تقديم ما هو أهم وأعنى من أجل لفت الانتباه إلى أهميته ودوره الفعال في تحقيق بلاغة وجمال الخطاب الشعري.

---

(1): مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 55.

(2): نفسه ، ص: 57.

وَيَسْتَلُّ مِنْ صَـــدْرِهِ رُوحَهُ بِيُمْنَاهُ يُبْكِي عَلَيْهِ الثَّكَـالَى[1]

والشاعر هنا يصف لنا قوة وبسالة الشعب الجزائري في صراعه مع العدو، ولتشخيص ذلك فقد استعان بالصور البيانية التي زادت في توضيح وإبراز دلالة المعنى بشكل جليّ فقد عبر عن قوة المناضل الجزائري الباسل وهو يفتك بالعدو في صورة بلاغية رائعة حين قال يستل من صدره روحه وكأن الروح شيء محسوس يمكن إدراكه فيبكيه أهله كالثكلى تبكي ولدها حرقة وألما، وقد تجلت لنا قريحة الشاعر وبراعته من خلال قدرته على رسم هذه الصورة الفنية التي جسد فيها من الخيال الواسع ما زاد المعنى قوة وبلاغة ذاكرا مكان الروح وهو الصدر وهذا التركيب تزاوج فيه الجمال الدلالي الفني مع براعة وضع رتب العناصر النحوية في غير ما اعتادت عليه.

فعبارة "من صدره" تعبير عن قوة وبسالة المناضل الجزائري وبطشه للعدو، مؤخرا المفعول به وهو لفظة "روحَه" وما تأخير المفعول به إلا لإبراز أهمية المقدم "الجار والمجرور" واختصاصه بالعناية والتأكيد على دلالته اللغوية والبلاغية الفنية.

يمكن القول أن هذا الضرب من التقديم والتأخير كان طاغ على الإلياذة بشكل جليّ وبنسبة كبيرة فقد حفلت به الإلياذة حتى أصبح سمة مميزة لها، ولكثرته نكتفي بذكر البعض منه والإحالة إليه في سطور، ومن هذا قول الشاعر:

وَتَسْمُو بِأَوْرَاسَ أَمْجَـــادَهُ فَتَصْدَعُ فِي الكَـــوْنِ هَذَا الوَرَى[2]

فقدم الشاعر هنا الجار والمجرور "بأوراس" على المفعول به "أمجاده" وما ذلك إلا لتحقيق الغاية البلاغية من هذا التقديم وهي تخصيص المقدم بالأهمية والعناية للتأكيد على دوره في صنع تاريخ الجزائر وتمجيد ثورته عبر التاريخ، وقد تجلت في صورة بلاغية فنية ما زادها قوة وجمالا، وتأكيدا على دلالة المعنى.

كما نجد قوله أيضا:

نُنَاشِدُ فِيكُمْ صَفَـــاءَ الضَّمِيرِ وَإِنْصِافَ حُرْمَةِ إِسْـــلَامِنَا[3]

وهنا نلمس توظيف الشاعر لسمة التقديم والتأخير وذلك حين قدم الجار والمجرور "فيكم" على المفعول به وهو لفظ "صفاءَ" محققا بذلك غرضه البلاغي ألا وهو القصر، فهو هنا يناشد ويطلب من فرنسا صفاء الضمير وحماية حرمة الإسلام بأسلوب بلاغي وألفاظ وعبارات واضحة المعنى قوية الدلالة مناسبة لمضمون الخطاب، وكان الخطاب في صورة التقديم أبلغ وأجمل.

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 58.

[2]: نفسه، ص: 24.

[3]: نفسه ، ص: 111.

وقوله أيضا:

وَلَاذَتْ فَرَنْسَا بِأَصْنَـــــامِهَا تُحَاوِلُ بِالدَّرْسِ كَسْبَ الرِّهَـــانِ[1]

قدم الشاعر في هذا البيت الجار والمجرور "بالدرس" على المفعول به "كسب" ليعبر عن خيبة فرنسا وانتكاستها في كسب الحرب وتحقيق الانتصار، فكانت غاية التقديم وغرضه بلاغية فنية تجلت في إبراز أهمية الثورة وهي الدرس الذي قدمه الجزائريون لفرنسا والذي تجسد في طابع فني يحمل دلالات وإيحاءات جمالية معبرة، وكان الكلام أكثر قوة ودلالة في صورة التقديم.

سادسا: تقديم الجار والمجرور على الفاعل والمفعول به:

إن الترتيب النحوي للجملة الفعلية هو أن يتصدر الفعل الجملة ويليه الفاعل ثم المفعول به وتعقبه مكملات من أجل إضافة معاني فرعية إلى المعنى الرئيسي للكلام، لكن قد يختل هذا التركيب فيتقدم أجزاء الجملة بعضه على بعض كتقدم الجار والمجرور على المفعول به، وفي إلياذة الجزائر نجد هذا النوع قد طغى على الإلياذة بشكل كبير متواترا بين ثناياها، ينبئ على حس الشاعر القوي وإبراز ما تجود به قريحته الشعرية التي تجلت بوضوح في إلياذته الجزائرية والتي منها قوله:

وَيَا قِصَّةً بَثَّ فِيهَا الوُجُـــودُ مَعَانِي السُّمُوِّ بِرَوْعِ الحَيَـــاةِ[2]

فقد صور لنا الشاعر الثورة الجزائرية في قصة حقيقية صنعها أبطالها الأحرار وخلدوا اسمها في التاريخ، ثورة بثَّ فيها الوجود معاني السمو والبطولة والفخر تتغنى بها الحياة عبر التاريخ، ثورة مشحونة بمعاني الحماسة والاعتزاز، ونلاحظ أن الشاعر هنا قد عمد إلى تغيير الترتيب العادي لنسق الجملة تقديما وتأخيرا حيث قدم الجار والمجرور "فيها" على الفاعل والمفعول به "الوجودُ معاني" وكان هذا التقديم والتأخير غاية الشاعر في ذلك فكان التعبير أبلغ وأعمق لاختصاص الثورة الجزائرية بوصفه قصة حقيقية تاريخية وقد عبر عنها بطريقة تتجاوز مفاهيم ودلالات جمالية فنية بليغة وإبرازها في قوالب بديعة.

تَزْخَرُ بِالعِلْمِ أَرْجَـــاؤُنَا فَتَسْمُوا المِدَارِكُ بِالنَّابِهِـــينَ[3]

وهنا نجد الشاعر يتغنى فاخرا بالعلم الذي شعَّ نوره في أرجاء الجزائر، فسمت أخلاقهم وترفعت قيمهم وصنعوا به مجدهم، فالخطاب الشعري الذي نظمه مفدي زكرياء هنا قد تجاوز التشكيل النمطي النحوي القاعدي تقديما وتأخيرا، حيث قدم في مواطن التأخير وأخر في مواطن التقديم، فأبعد الفاعل والمفعول به عن فعلهما، وكان الأصل: "وتزخر أرجاؤنا بالعلم"، فقدم الجار والمجرور "بالعلم" لاختصاصه بالأهمية البالغة التي يلعبها في الرقي والحضارة، وأخر الفاعل والمفعول به "أرجاؤنا"، وما ذلك إلا غاية في نفس الشاعر لرسم صور بلاغية يثار فيها

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص:64.

[2]: نفسه، ص: 19.

[3]: نفسه، ص: 50.

خيال السامع فيقف متأملا منقبا عن معاني ودلالات هذا الأسلوب الكلامي ما يزيد ذلك قوة وتأثيرا في المعنى وحسنا وجمالا في التعبير.

وَطَافَتْ بِوَهْرَانَ جِيطَانُ غَدْرًا وَزِيَّانَ مَا اسْتَطَاعَ حَشْدَ الجُنُودِ[1]

فكما وظف الشاعر الأسماء والشخصيات الجزائرية فهو لم يتهاون ولم يتردد في ذكر مدن جزائرية بأسمائها الحقيقية "وهران" ليعبر عن واقع حقيقي عاش وعانى قهر الاستعمار، كما صور لنا بعض المقاومات الشعبية التي ثار فيها أبطال الجزائر بشهامة وعزيمة معبرين عن رفضهم القاطع لهذا العدو الغاشم، وهي رسالة مقدسة من الشاعر يحملها بأمانة وإجلال نحو وطنه الغالي في تصوير بطولات الثورة وملاحمها وترصّد أحداثها ووقائعها ومواقفها وتجسيد شهامتها وإنسانيتها بنبرات فنية تتفاوت بين الانفعال والحماس لأن عنف الثورة كان أعمق وأبلغ، فالشاعر وما جادت به قريحته الشعرية وبأسلوب فني استطاع رسم الواقع الثوري في الجزائر معتمدا في ذلك تقنية فنية بالغية هي تقنية التقديم والتأخير حيث قدم الجار والمجرور "بوهران" ليوضح ويؤكد على أهمية الثورة وشموليتها لأن وهران الأسطورة التاريخية شكلت جزء من أسطورة أكبر وهي أسطورة الجزائر المشحونة بدلالات ورموز بطولية، وفي المقابل أخر الفاعل والمفعول به وهو "جيطانُ غدرًا" ليبقى مؤكدا على شمولية الثورة وأن كل منطقة من مناطقها تروي قصة بطولية خطتها بدم أبطالها الأحرار.

سابعا: تقديم الحال على صاحبه:

يعرف الحال بأنه الوصف الذي يبين هيأة صاحبه وقت وقوع الفعل، أو يبين كيفية حدوث الفعل، وحكمه النصب نحو: أقبلت الطائرة مسرعة، ودليل الحال أن تسأل "كيف"[2]. والأصل في الحال أن يتأخر على صاحبه وقد يتقدم عليه نحو: سَرَى مبكّرًا معلمُنا[3]. فقد تقدم الحال على صاحبه، وما تقدم الحال على صاحبها إلا ضرب من البلاغة والبيان وما تضفيه من دلالة فنية على الخطاب الشعري، فقد كان وسيلة الأدباء والشعراء على حدّ سواء في تفجير طاقاتهم الإبداعية وإبراز قيمة هذا الضرب من التقديم والتأخير في بلاغة الكلام وحسنه، ومفدي زكرياء كغيره من الشعراء فلم تخفل إلياذته بهذا النوع من التقديم يقول:

كَيْفَ غَدا ظَـــــافِرًا مَاسِينِيسَا بِزَامَةٍ لَمْ يَرْضَ فِيهَا الهَوَانَـــــا[4]

---

[1]: مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص: 52.

[2]: محمود حسني مغالسة، النحو الشافي الشامل، ص:399.

[3]: نفسه، ص: 410.

[4] : مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر ، ص: 39.

فكما وظّف الشاعر شخصيات وأسماء فرنسية، فهو لم يتغاض أيضا في توظيف شخصيات وأسماء جزائرية لكن ليس بصورة الرعب التي رسمها للفرنسي، إنما بصورة الفخر والإعجاب والحماسة، فقد قدّم صورة رائعة بليغة لماسينيسا عندما ثار ظافرا في وجه العدو، ولم يرض بالظلم والهوان، فقد استطاع الشاعر هنا أن يثير خيال السامع بتوظيفه أسلوب تعبيري بليغ في صورة تبدو أكثر حسنا وجمالا، ما يجعل القارئ متأملا لا مارًّا عابرا، ونجد هنا أن الشاعر قد خص اهتمامه وأولى عنايته بوصف حال ماسينيسا كيف غدا ظافرا ثائرا في وجه العدو، فعمد إلى تقديم الحال وهو لفظ "ظافرا" على صاحبه وهو "ماسينيسا"، تأكيدا منه في ذلك على حماسة وشجاعة ماسينيسا التي أرعبت الاستعمار، فالشاعر هنا قد خرج عن القاعدة النحوية التي تقوم على أن صاحب الحال يتقدم على الحال ذلك أن الحال هو وصف لهيئة صاحبه، فقدم الحال على صاحبه تركيزا وتأكيدا منه على وصف شجاعة وبطولة ماسينيسا، وهو ما زاد المعنى قوة وجمالا وتأكيدا في صورة فنية بليغة.

وإجمالا يمكن القول أن تقديم المفعول به على الفاعل هو الضرب الذي أخذ حظه من الإلياذة والذي طغى عليها بشكل كبير ما زاد في بلاغة ودلالة معانيها، في المقابل نجد أن تقديم الحال على صاحبه كاد أن ينعدم في ثنايا الإلياذة فلم يظهر إلا بصورة نادرة.

خلاصة:

وختاما يمكن القول أن الشاعر مفدي زكرياء، قد وفق في الربط بين إبداعه الشعري، وبين ما كان يعانيه من قهر وتعذيب في سجون الاحتلال، حيث كان شاعر الثورة ولسان حالها بلا منازع، فقد استطاع تصوير الواقع الجزائري الثوري في قصائد أقل ما يقال عنها أنها رائعة، وإلياذته الجزائرية واحدة من أهم إبداعاته الشعرية التي جادت بها قريحته، فكانت المرآة العاكسة لواقع الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي فهي الجسر الرابط بين جيل الماضي والحاضر والمستقبل في تمجيد ثورتهم، وقد جسد ذلك في طابع بلاغي تفنن في إبداعه بقوالب فنية جمالية معتمدا سمة من أهم سمات الفن والبلاغة وهي سمة التقديم والتأخير التي طغت على الإلياذة بصورة جلية، حتى أصبحت سمة بارزة فيها ما زاد في جمالها وفنيتها وبالغتها ودلالتها الإيحائية، وما تحمله من معاني وأغراض بلاغية وما تضمره من مغزى في تقديم هذا ومن غرض في تأخير ذاك، فإلياذة الجزائر تبقى سجلّها التاريخي الذي يحفظ بطولاتها وتضحياتها وملاحمها.

البلاغة العربية باعتبارها علما من علوم اللغة العربية، والتي تعنى بفنون القول أو الذوق الأدبي، إذ ليست العبرة في الكلام البليغ بصوابه ولكن بأن يؤلف على نسق تدرك أسراره الأذواق، وتُعرف دقائقه بالفهم الثاقب الذي يتطلب التأني والتروي والبلاغة العربية أقساما وعلوما ثلاث حسب تقسيمات علماء البلاغة، وأيضا لكل قسم منها فروعا أخرى منبثقة عنها، فأول ما يصادفنا حسب هذه التقسيمات هو علم المعاني وثانيهما علم البيان وثالث الثلاثة علم البديع، وهذه التقسيمات ليست عفوية بل مقصودة لذاتها فاللاحق يترتب على السابق فتقدُّم علم المعاني على علم البيان، يكون فيه بمنزلة المفرد من المركب لأنهما يبحثان في صميم المعنى المراد، والتقديم والتأخير باعتباره بابا من أبواب علم المعاني وفنا من فنون الكلام فكانت الغاية في توظيفه واستعماله أقوى وأبلغ من التشكيل النمطي العادي للكلام، لأنه يتيح مساحة واسعة من القدرة على إيصال المعنى للمتلقي في أجمل صورة.

ومن هذا يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

- البلاغة باعتبارها من أهم العلوم التي تعنى بدراسة الجانب الفني والجمالي للكلام وإبراز قيمته الدلالية.
- العلوم البلاغية التي تشكل وحدة متجانسة من الفن والجمال، فكل علم يبرز جانب فني من الكلام.
- يلعب التقديم والتأخير دورا بارزا في إيصال المعنى المراد وتحقيق بلاغة الكلام من خلال إعادة توزيع الألفاظ بما يتناسب مع الدلالة المطلوبة.
- يرتكز المعنى العام لبناء الجملة على غرضها في النص ولاسيما في التصوير الفني البياني وتحقيق جماليات النص.
- الغاية الأولى من التقديم والتأخير هي إبراز أهمية وعناية المقَدَّمْ واختصاصه.
- الغرض من تقنية التقديم والتأخير هو صبغ النص بصبغة جمالية متميزة تتجدد معانيها بتجدُّد أساليبها.
- تقنية التقديم والتأخير من أهم عوامل تطور اللغة وأكثر إبرازا لدلالتها اللغوية والفنية باعتبار أن تقدم عنصر على آخر هو ما يعطينا دلالات متعددة ومتنوعة.
- إن توظيف تقنية التقديم والتأخير تساهم إلى حد كبير في بلاغة وجمال الأسلوب.
- إمكانية توضيح الدلالة الفنية والجمالية للتقديم والتأخير من خلال إلياذة الجزائر.

وبعد، فهذا كل ما توصلنا إليه في دراسة دلالة الجمال الفني للتقديم والتأخير في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، فإن كنا قد وفينا فبعونه تعالى وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1-المصادر:

1. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد1، تحقيق: علي أبو ملجم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1412هـ-1996.
2. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2003.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، د.ط.
5. بطرس البستاني، محيط المحيط، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2009
6. جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد8، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412هـ-
7. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1989.
8. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،الطبعة الثالثة،1430هـ-2009.
9. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1995.
10. مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء، د.ط، 2006.

2-المراجع:

1. أبو شوارب، أحمد محمود المصري، المدخل لدراسة البلاغة العربية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007.

2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تحقيق: يوسف الصميلي، المطتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، 1422هـ، 2002 .

3. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 2000.

4. أمين أبو ليل، علوم البلاغة: المعاني، البيان، البديع، دار البركة، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1427هـ، 2006.

5. إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1414هـ، 1996.

6. بثينة أيوب، أحمد محمود المصري، قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2005.

7. بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008.

8. حلمي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية، علم المعاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2004.

11. حمدي الشيخ، الوافي في تسيير البلاغة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 2003.

10. حنفي ناصف، سلطان محمد، شروح دروس البلاغة، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ، 2012.

11. رابح العوبي، البلاغة مفاهيم ومظاهر، مطبعة المعارف، عنابة، الطبعة الأولى، 2003.

12. عاطف فضل، البلاغة العربية للطالب الجامعي، دار الرازي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2007.

13. عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1997.

14. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.

15. عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.

16. عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب، القاهرة، د.ط، 1998.

17. عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،د.ط، 2001.
18. عبد القادر حسين، فن البلاغة ، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2006.
19. عبد اللطيف شرفي، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2004.
20. عبد الله جاد كريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004.
21. عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، د.ط.
22. عبده الراجحي، النحو التطبيقي، دار المعرفة،د.ط.
23. عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1421هـ، 2001.
24. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، تأريخا، أنواعا، قضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009.
25. عوض حمدي القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1983.
26. عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغة، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الجامعة المفتوحة، د.ط، 1993
27. شفيع السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب، الطبعة الأولى، 2006.
28. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
29. طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، البلاغة العربية، البيان والبديع، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996.
30. فتح الله صالح المصري، دراسة الجملة الاسمية، مكتبة نانسي دمياط، د.ط، 2004.
31. فضل حسين عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، دار النفائس، الطبعة الثالثة عشر، 1429هـ، 2009.
32. مازن مبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، د.ط.
33. محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة العربية، البديع، البيان، المعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د.ط، 2008.
34. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994.
35. محمود حسني مخالسة، النحو الشافي الشامل،دار المسيرة ،عمان،الطبعة الأولى،1427هـ-2007.

36. محمود مطرجي، النحو وتطبيقاته، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2000.

37. مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء، الإسكندرية، د.ط.

38. مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000.

39. مصطفى بن الحاج بكير حمودة، أمجادنا تتكلم، مؤسسة مفدي زكرياء، د.ط، 2003.

40. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع، دار الميسرة، عمان، الطبعة الأولى،1427هـ، 2007.

3- المجلة :

41. عبد الرحيم عزاب، بنية الإيقاع في الخطاب القرآني، جماليات التقديم والتأخير نموذجا، مقاربة أسلوبية، مجلة النص، العدد الثامن، 2008، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة جيجل، منشورات جامعة جيجل، الجزائر.

4- الموقع الإلكتروني:

42. http://forum.univbiskra.net/index.php?topic=31937.0

العنـوان	الصفحة

مقدمة..... أ،ب،ج

الفصل الأول: في البلاغة العربية..... 01

تمهيد..... 01

المبحث الأول: ماهية البلاغة العربية..... 03

المطلب الأول: مفهوم البلاغة العربية(لغة واصطلاحا)..... 03

المطلب الثاني: نشأة البلاغة العربية وتطورها..... 05

المطلب الثالث: أهمية البلاغة العربية..... 12

المبحث الثاني: علوم البلاغة العربية..... 13

المطلب الأول: علم المعاني..... 13

المطلب الثاني: علم البيان..... 24

المطلب الثالث: علم البديع..... 35

خلاصة..... 44

الفصل الثاني: التقديم والتأخير في البلاغة العربية..... 45

تمهيد..... 45

المبحث الأول: ماهية التقديم و التأخير وطرائقه..... 47

المطلب الأول: مفهومه (لغة واصطلاحا)..... 47

المطلب الثاني: نشأة مسألة التقديم و التأخير..... 49

المطلب الثالث: طرائق التقديم والتأخير..... 51

المبحث الثاني: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير 59

المطلب الأول: الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير..... 59

المطلب الثاني: أضرب التقديم والتأخير..... 66

المطلب الثالث: أهمية التقديم والتأخير..... 69

خلاصة..... 72

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لإلياذة مفدي زكرياء..... 73

تمهيد..... 73

المبحث الأول: مفدي زكريا والإلياذة..... 75

المطلب الأول: نبذة عن الشاعر مفدي زكرياء..... 75

المطلب الثاني: نبذة عن إلياذة الجزائر..... 76

المطلب الثالث: مواضع التقديم والتأخير ودلالتها الفنية..... 77

خلاصة..... 93

خاتمة..... 94

قائمة المصادر والمراجع